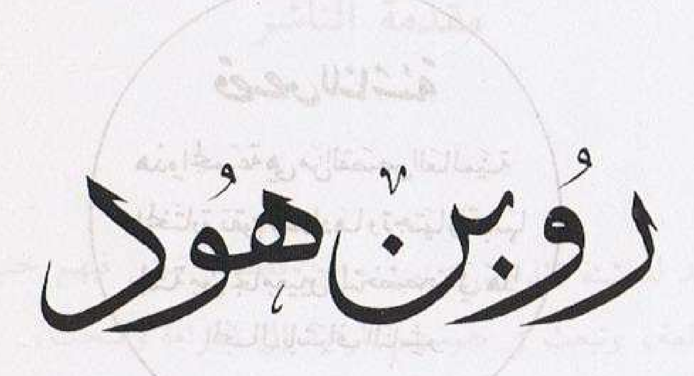

قصص للناشئة
روبن هود
مكتبة المعارف
بيروت
قصص للناشئة
روبن هود
مكتبة المعارف - بيروت
قصص للناشئة
مكتبة المعارف
ص. ب ١٧٦١
بيروت

قصص للناشئة



روبن هود

عن ولت ديزني

ميشال وست

ترجمة واعداد لجنة من المتخصصين

باشراف الناشر

مكتبة المعارف

مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر - إستيراد وتصدير

بيروت

جميع حقوق الطبع والاقتباس

محفوظة للناشر

مكتبة المعارف

بيروت

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بيروت ، لبنان



قصص للناشئة

هذه المجموعة هي من القصص العالمية المختارة تقوم بإعدادها وترجمتها واقتباسها لجنة من الجامعيين المتخصصين في هذا المجال بإشراف الناشر

— أليس في بلاد العجائب	لويس كارول
— جزيرة الكنز	ر . ل . ستيفنسون
— تاجر البندقية	شارل شكسبير
— جلفر	جوناثان سويفت
— روبنسون كروزو	ر. ل. ستيفنسون
— قصة مدينتين	تشارلز ديكنز
— تراس بولبا بطل القوزاق	نيقولا غوغول
— مرتفعات وذرينغ ـ الحزن العميق	شارلوت برونتي
— ذهب مع الريح	مرغريت ميتشل
— الأرض الطيبة	بيرل باك
— جين إير	شارلوت برونتي
— دايفيد كوبرفيلد	شارلز ديكنز
— روبن هود	عن ولت ديزني ـ ميشال وست

مقدمة الناشر

لا بد للناشئة فلذات أكبادنا - من قصص تنمي فيهم حب المطالعة، وتبعث في نفوسهم الرغبة إلى القراءة والبحث . . .

الأمر الذي يساعد على تنمية قواهم العقلية ويعمل على صقل مواهبهم الفتية، ويفتح أمامهم طريق الحياة من بابه الواسع الفسيح . . . . فيفكرون بالمنحى الذي يفكر فيه أقرانهم، وأبناء جيلهم، الذين يعيشون في عصرهم، ويسايرون ركب الحضارة في هذا العصر، الذي شاعت فيه الكتب، وانتشرت القصص، التي يجب أن يعتبر منها الشباب ويستفيدوا من قراءتها، فتكون مناراً لهم في حياتهم، ومشعلاً يضيء لهم طريقهم . . . . إلى العلم والمعرفة.

وها نحن الآن نقدم للقارىء الكريم قصة من أشهر القصص العالمية المفيدة . . . .

روبن هود

روبِن هودْ، روبِن هودْ

إسمٌ لطيفٌ تردده الطيور

والأعشاب والزهور

تحنُّ إليه غابةُ «شِرْوُودْ»

روبِنْ هودْ، روبِن هودْ

* * *

نصيرُ الفقراء والمظلومين

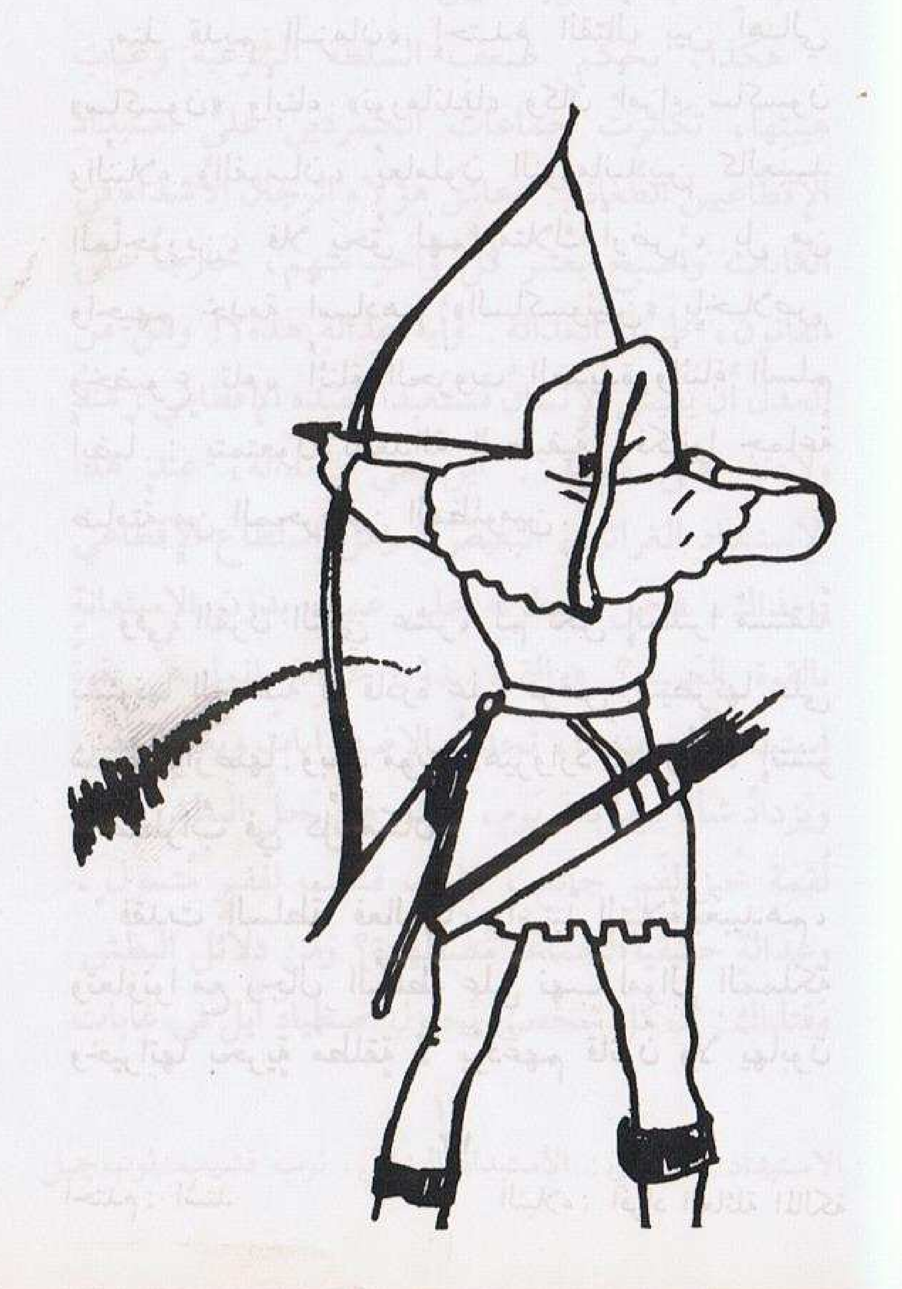
واليتامى والمحرومين..

وُلِدَ في الطبيعة

قربَ النهرِ، تحتَ الاغصان

بينَ الياسمين والأقحوان..

* * *



رو بِنْ هودْ. . فارسُ شِرْوودْ!

أَخٌ عطوفٌ لكلِّ شريد

نصيرٌ قويٌ، لكلِّ طريد.

سهمُه اللمَّاع، بريقُ أمل

في سماءِ البؤَساء المُشردين.

* * *

ولادة روبين هود

منذ قديم الزمان، إحتدم القتالُ بين أهالي «ساكسون» وأبناءِ «نورمانديا» وكان أُمراء ساكسون والنُبلاء والفرسان، يُعامِلون النورمانديين كالعبيدِ المأجورين، فلا يَحقُ لهم إمتلاكَ أرضٍ، بل مِن واجبهم خدمة أسيادهم «الساكسونيين» بإخلاصٍ وخضوعٍ تام، أثناءَ الحروب العديدة وأثناءَ السِلمِ أيضاً. : يتمتعون بالعدالة الحقيقية؛ فكانوا جماعةً صامتةً من المحرومين المظلومين.

وفي القرن الثاني عشر، لم تكن إنكلترا مُستقلةً بشئونها الخاصة أو قادرةً على فرض سَيطرتِها على شعبِها وأرضِها. وبعدَ موتِ «هيروارْدْ ذي وِكْ»، إنتشر الاضطرابُ في كلِّ مكان.

فقِدت السلطةُ فعاليتَها، واستبدَّ النبلاءُ بعَبيدِهم، وتعاونوا مع رجالِ السُلطة على نَهب أموالِ المملكة وخيراتِها بحريةٍ مُطلقةٍ لا يَرْدَعُهم قانونٌ ولا يَهابون

احتدم : اشتد
النبلاء : افراد العائلة المالكة

الضميرَ، ولا عَجب، إن عمّت البلادَ من أقصاها الى أدناها، الفوضى ومُحاولاتُ التمرد الجريء على استبدادِ النُبلاء النورمانديين

هكذا، بحُكْمِ ضُعفِ السُلطة الشرعية وغِياب هَيبتِها، تكاثرَتْ جماعاتُ المتمردينَ على استبدادِ الإقطاعيينَ الطُغاة. . وعاشَ هؤلاء الرجال الأشداء في الغابات وأصبحَ يُعتبرُ كلُّ واحدٍ منهم، خارجاً على القانون، طريدَ العدالة. وأيةُ عدالةٍ هذه؟! وهل مِن العدل أن يعيشَ الإنسانُ مُسْتَعبَداً لسيده الإقطاعي، منذُ ولادتِه حتى مماتِه. . أين هي العدالة، عند هذا الإستبداد الغرائزي البَغيض؟ وهل استطاعَ الإقطاعيُ يومذاك، فرضَ سيطرتِه على عَبيدِه بدون الإستعانة بالقوة العَمياء؟ «والقوةُ بدون عدالة إنما هي قوةٌ إستبداديةٌ!» عندها، تَحدثُ الإضطراباتُ ويعمُّ البَطشُ ويَزدادُ شأناً يوماً بعدَ يوم، ولكن هل يَحلُّ البطشُ محلَّ لُقمةِ خُبزٍ لِفَمٍ جائعٍ، وثوب قشيبٍ لفقيرٍ مُتسولٍ، وعدالةٍ حقيقيةٍ لجماعةٍ مُضطهَدة؟ ومن دلائل البَطشِ وَقتذاك: أن كلّ شخصٍ يُحاولُ اصطيادَ أيّلٍ في غابات

الاستبداد الغرائزي : الأستبداد البدائي . ثوب قشيب : ثوب جميل

إنكلترا الواسعة الفَسيحة، يُقتل على الفور بعد أن
يُلاقي شتَّى أنواع العَذاب على أيدي الجلَّادين
المنتشرين في جَميع أرجاءِ المملكة ويَنالُ كلُّ جلاد أو
كلُّ قاتلٍ مفوضاً رسمياً من قِبَل السُلطة، المالَ الوفيرَ
إذا رمى الأَسيرَ الفقيرَ بالسهام القتَّال أو شنَقَهُ بحبلٍ
متينٍ أو قطعَ رأسَه بالسيف المُرهف أو الخنجر الحاد.
وقَتْلُ أَيَلِ الملَك جريمةٌ لا تُغتفر! والويلُ وثم الويل
لِمَن يَخطرُ بباله إجتيازَ غاباتِ الملك واصطيادَ الأَيِّل:
الموتُ الزؤامُ بانتظارِه، على أبشع صورِه وأشكالِه!

* * *

لا عَجب إن حَصل خِلافٌ دائمٌ بين أهالي
الساكسون والنورمانديين، عام ١١٦٠، لذلك، لم
يُوافق السير جورج غامول في «نونتيغها مشاير» وهو
فارسٌ ساكسوني، على زَواج ابنتِه الجميلة «جُوانا» من
الشاب ويليام فيتزوثْ، إبن نبيل ثري. وكان السير
جورجْ شرساً، ظالماً وعصَبيَ المِزاج. ووالدةُ الشاب
ويليام، ساكسونيةُ الأَصل. لذلك، لم يُؤْمِن
بالإنفصالِ والتقسيمِ بين أهالي الساكسون

الأيل: نوع من الغزال له قرون طويلة ومتفرعة كالأغصان

والنورمانديين، بل آمنَ بوَحدةِ الشَعب الإنكليزي. مثلُ
هذه الأَفكار تُعارِضُ حتماً عقيدةَ السير جورج غامْولِ؛
ومرةً قالَ له ويليام الشابُ بجرأةٍ وصراحةٍ:

ـ لا أُميِّزُ بين ساكسوني ونورماندي، كلُّنا شعبٌ
انكليزيٌ واحد. ولا يجدُ الوطنُ الإكتفاءَ والأَمانَ إلَّا في
ظلِّ عدالةٍ حقيقيةٍ، لا في ظلِّ الإمتيازاتِ والإرهاب.

ولكن لم يأْبه السير جورج لكلامِه ومنَعه حتى عن
دخولِ بيتِه، ثم قال لابنته الصبيَّةِ العاشقة:

ـ الويلُ لكِ وثُم الويل إذا حاولتِ التكلمَ مع هذا
النورماندي اللعين!

وانهمرت الدموعُ سَخِيةً من مُقلتيها، وقالت لأَبيها
بنَبرةٍ يائسةٍ:

ـ إنكَ تَظلُمني يا والدي؛ ولا يَستحقُ ويليام مثلَ
هذه القَساوة إطلاقاً. رغم خِلافِكَ معه، لن أَتراجعَ عن
حُبي له.. ما حَييت!

وصاحَ الأَبُ غاضِباً مُزمجِراً:

السكسونيين: العرق السكسوني الذي ينتمي اليه الشعب الانكليزي

ـ أنتِ فتاةٌ حَمقاء، طائِشة. إذهبي إلى غرفتك على الفَور قبل أن يستبدَّ بي الغَضبُ و. . .

وبدون تردد أسرعت الفتاةُ باكيةً شاكيةً أمرَها لربها الكريم الرحيم. وحدَّثتْ نفسَها في غُرفتها المُظلمة: «وما ذنبي إذا كان الشخصُ الذي أُحِبُّه نورمانديًا. وهل يَحقُ لوالدي أن يَحرُمَني من الحُب الذي أنعمني الله به؟»

ولم تدم غيمةُ اليأسِ طويلًا بل كانت غيمةً عابرةً، إذْ في نفسِ الليلة، جاءَها ويليام المشتاق، قربَ نافذتِها، وناداها موشوشاً بنبرةِ العاشقِ الولهان:

ـ جُوانا. . جُوانا. . أينَ أنتِ؟

وخُيِّل إليها بأنها تسمعُ صوتَ حبيبها مُناديًا إسمَها، مِن عَلياء السماء، من عالم النجوم الساهرة المتلألئة. تنهدَّت فَرحَةً ثم اتجهت نحو شُباكِها الأخضر والذي تُزخرفُه مجموعةٌ من الأزهار الفَّواحة المدهشة، ووقَع بَصرُها على حبيبها الشاب وهو يمد عنقَه لوعةً واشتياقاً. .

الفَّواحة: التي تصدر عنها روائح زكية

وقالتْ بتلهُّفٍ بالغٍ:

ـ حبيبي ويليام! هذا أنت! إني لا أُصدِّق عينَيَّ!

ـ حبيبتي، جئتُ لأُقسم لك بحُبنا الأبدي. لن أتخلى عن حُبك حتى الرَمقِ الأَخير!

ـ وأنا كذلك يا حبيبي. لن يُفرِّقنا سوى الموت ولن أرضى عنكَ في الدنيا بديلاً.

وتزوَّجَ العاشقان سِراً، في كنيسةٍ صغيرةٍ مُجاورةٍ لقَصر والد «جُوانا». وانقضت فَترةٌ غير وجيزةٍ والوالدُ غير مُدركٍ حقيقةَ الأمر. ولم يخطر ببالِه قطّ، أن ويليام العاشق يزورُ كلَّ ليلةٍ تقريباً، زوجتَه الصبيَّةَ سِراً، إذْ يَتسلَّقُ على شجرةٍ مجاورةٍ للنافذةِ في الظلام الدامس، ويقفزُ برشاقةٍ إلى داخل الغُرفة. . ثم يَتركُها مُسرعاً قبلَ بُزوغ أشعَّةِ الفجر.

ومضى فصلُ الربيع وجاءَ الصيفُ، واضطر ويليام إلى الرَحيلِ مع والده إلى مدينةِ لُندن لِتَنفيذِ بعض الأشغال المُختصةِ بالأمور المَلكية. . وطالَ غِيابُه عدةَ شهورٍ. وعندما رَجِعَ إلى «غامُولْ»، جاءَهُ رسولٌ يحملُ

إليه رسالةً من جُوانا حيثُ كتَبَتْ تقول:

«حبيبي ويليام إني في مأْزَقٍ حَرجٍ. رغمَ إني أَلزمُ الفِراشَ على الدَوامِ مُدعيةً بأني مريضةٌ، سيعرفُ والدي يوماً ما، حقيقةَ الأمر. ويا حَسْرَتي وقتذاك مِن غَضَبه الشديد وحُقْدِه الراعب. والويلُ لكَ يا حبيبي إن قبضَ عليكَ، سيكونُ مصيرُكَ الموتَ شَنْقاً، أما أنا فأجهل مصيري ومصيرَ طفلِنا بعد ولادته. لذلك، أسرِعْ يا عزيزي ويليام وخُذْني بَعيداً عن هذا القصر؛ إني أَشعُر بالخوف منه ولن أُحس بالطُمأنينة والسعادة إلاَّ عندما تَضُمني بينَ ذِراعيك.

زوجتُك الوفية
جُوانا

* * *

عِندها، إستدعى ويليام ثلاثةَ رجالٍ من أكثر أتباعِه بَسالةً وإخلاصاً، وأرسلهم إلى غابة شِروود، لينصبوا خَيمةً في مكانٍ قَريبٍ من «غامْوِلْ».

أما ويليام، فاتجهَ عند الغروب، مع أتباعِه، إلى

«غامولْ هولْ» واجتازوا خِفْيَةً ممرَ الحديقة، ودَنا الزوجُ الشابُ من نافذةِ «جُوانا».

كانت «جُوانا» في انتظارهم على أحَر من الجَمر..

وعلى الفور، قَفزتْ من النافذة وارتمَتْ فَرحَةً بين أحضان زوجها.. الذي ضمَّها بحَنانٍ بينَ ذِراعيه، ثُم رحلَ الجميعُ بعيداً عن غامولْ وتواروا بينَ جذوعِ الأشجار الكثيفةِ في غابة الشِرْوودْ الصامتة وتحتَ ضوءِ القَمرِ الحالم، حيثُ لا يُسمع في هذا المكان الموحِش سوى نعيب البومة أو نُباح الثعلب.

وفي اليوم التالي، عند الصباح الباكر، إستيقظَ السيد جورج فجأةً ونادى خادمة بأعلى صوته ثم صاحَ مُستغرباً:

ـ أينَ هي ابنتي؟ ان من عادتها تقصدُني في هذا الوقتِ الباكر: أما اليوم، فلا يوجدُ لها أيُ أثر. لقد حلمتُ ليلةَ البارحة، حلماً مُخيفاً. رَجائي أن لا يُصبح الحلمُ حقيقةً.. إذْ شاهدتُها في الحلم وهي تَغرقُ بين أمواجِ البحر الهائج. ولكن إسمعوا وعوا! إذا حدث

نعيب البوم: صوت البوم

أيُ مكروهٍ لابنتي، فسوفَ يكونُ مصيرُكم جميعاً بلا استثناء:

الموتَ شَنقاً!

وبعدَ لحظاتٍ معدودةٍ، تأهّب أتباعُ السيد جورج للرحيلِ معه، بَحْثاً عن الإبنةِ الضائعة.. وعندَ الغروب، اكتشفَ الوالدُصدفةًمخبأَ جُوانا.. وجدَها داخِلَ كوخٍ خشبيٍ متواضعٍ، تُحيطُه تعريشةٌ، في وسط غابةٍ كثيفةٍ، مليئةٍ بالأشجار الخضراء والنباتات الندية على اختلاف أنواعِها وألوانِها.. وعلى صدرِها طفلُ جميلُ يَرضعُ بحنانٍ من ثَدييها!

عندها، غَضبَ الوالدُ أشدَّ الغَضبِ وصاح هائجاً مائجاً، وقفزَ عن حصانه وشهرَ سيفه واتجهَ نحو ابنتِه، ولكن عندما ابتسمتْ له وقدمَّت له الطفلَ، تغيَّرت سِحنتُه وتبدَّل موقفُه ونسيَ فكرةَ الإنتقام، واستبدَّ به حنينُ الأُبوة، فانحنى فوقَ الطفل البريء وحملَهُ بين ذراعيه صامتاً مُرتبكاً ثُم رَمى سيفَه جانباً وقبَّل الطفل بحنانٍ وقال لهُ بنَبرةٍ هادئة:

تعريشة: اغصان ملتفة على شكل بيتمن اشجار

ـ أريدُ واللهِ شنقَ والدك، لكن أُمك ما تزالُ عزيزةً عليَّ، رغمَ كلِّ ما فَعَلَتْ. حَسناً. حَسناً. لن يليقَ بي قتلَ أبيك.

ثم التفتَ إلى ابنتِه وقال:

ـ أينَ هو هذا الشقي؟

عندها، خرجَ ويليام فيتزوثْ من وراءِ شجرةٍ ضَخمةٍ وجَثا على رُكبتيه أمام السير جورج، طالباً منه الرحمةَ، قائلاً:

ـ إنني مُستعدٌ لأَن اكونَ الصديقَ الوفيَ لجميعِ السكسونيين قاطبةً. أما طفلي فنِصفهُ ساكسوني ونصفُه الآخر نورماندي.

قال السير جورج:

ـ حَسناً، حَسناً. لقد غفرتُ لكَ ولابنتي جُوانا.

تردَّد قليلاً ثم قال:

ـ ما هو اسمُ الطفل؟

أجابَ الأَبُ والأُمُ في آنٍ واحد:

ـ روبين.

تنهدَّ سير جورج وقال:

ـ روبين! إنه اسمٌ جميل، وُلِدَ في الغابةِ الخَضراء الطيِّبة.

ثم حدَّثَ الطفلَ قائلاً:

ـ كُنْ وَفياً يا روبين لوطنِكَ الأُم: إنكلترا؛ وكن الفارسَ الشجاعَ والنصيرَ العادلَ لكلِّ مُضطهدٍ ومَحرومٍ!

أجمل ولادةٍ هي ولادة روبين هُودْ: في أَحضان الطبيعة، بين الأَشجارِ الخضراء الباسقَةِ وزَقزقةِ الطيور وتَرانيمِ الجداول والينابيع.

* * *

ارتقى الملَكُ ريتشارد الأول، العرشَ عام ١١٨٩ ثُم تركَهُ إثْرَ رحيلِه مع جيشِه الصليبي إلى فلسطين ليستوليَ على القدس.

ثم انتشرَ خبرٌ في إنكلترا مفادُه أَن الملكَ ريتشاردِ

والمعروف بريتشارد قلب الأسد، قد انهزمَ وتمَّ إعتقالُه وزُجَّ في السِجن. . ولا أحدَ يَعلمُ مكانَ سجنِه، وعددٌ قليلٌ من الإنكليز متفائلٌ بشأنِ عودتِه، عاجلاً أم آجِلاً، إلى وطنه الأُم.

وقبلَ رحيلِه إلى فلسطين، عيَّنَ الملكُ ريتشارد، أُسقفَ مدينة «إلي» حاكماً على رعيته، ولكن لم يَمْضِ وقتٌ طويلٌ حتى استطاعَ شقيق الملك، الأمير جون، إبعادَ الأُسقف الصالحِ عن الحُكْمِ مُتْهِماً إياه بالخيانة ثم حلَّ محلَّه ونصبَ نفسَه حاكماً مطلق الصَلاحياتِ ني جَميع أرجاءِ إنكلترا.

كان الأمير جون شريراً، قاسيَ الفؤاد، أما أتباعُه فهم نَسخةٌ طبق الأَصل عن شخصه الكريم. فكان بحاجةٍ ماسةٍ إلى المال، كذلك أتباعُه. ولم يجد صعوبةً للحصولِ عليه. وأسهل طريقة لاكتسابِ المال هو توجيهُ تُهمةِ الخيانة أو تُهمةِ انتهاكِ القانونِ ضدَ الأشخاص الأبرياء. . فيَستولي بدون أدنى سبب على البيت وعلى كلٍّ ما يملكون. ومثلُ هذه التُهمة الزائفة

التي يَختلِقُها الأميرُ جون ضد أيِ رجلٍ بريء، إنما تعني بأن مثلَ هذا الرجل خارجٌ على القانون، طريدُ العدالة. اذْ لا يَحقُّ للرجل الخارج على القانون، إمتلاكَ أي شيءٍ ومَن يقتلُه يُكافأ أحسنَ المُكافأة. . وكلُّ ذلك بأسم العدالة. أيتُها العدالة كم من الجرائم تُرتكب باسمِك!

عادةً، عندما يقبضُ الأمير جون على رجلٍ مُتهم، يَستبدلُه على الفور بأحدِ أتباعِه المُفضَلّين. أما أتباعُه فيكدسون ثرواتِهم بالطريقةِ التالية: يَستولون على مالِ المُزارعين المتوسطي الحال والفلاحين وحتى من العبيد المُستخدَمين. ومن بين أتباعِه، الفارسُ وحاملُ الدِرْع بالإضافة إلى الأُسقف ورئيسُ الدير. . ولا عَجب إن تواطأَ الأُسقف ورئيسُ الدير مع الحاكمِ الأميرجون واتفقوا جميعاً على الإستيلاءِ الإحتيالي على خيراتِ أبناء الرعية. . فكان يوجدُ وقتذاك من الأساقفة ورؤساء الدير أو رئيسات الدير، أشدَّ بلاءً وطَمعاً من النُبلاء المُستبدين بأمور الضُعفاء.

كذلك الشريفُ لا يقلُّ شراسةً واستبداداً عن سيِّده

الأمير جون. فكان يأتمرُ وينفِّذُ أوامرَه مهما كانت جائرةً وشاذةً. هكذا كان شريف مدينةِ نوتينغهام، لا يَرحمُ المظلومَ ولا يأْبَه للضعيف ولا يَتورعُ عن تنفيذِ أقسى العقوبات وأفظعها بالمواطن الخائف والذي يرتجفُ خوفاً بينَ يديه، كوريقةِ الخريفِ في مَهبِّ الريحِ.

ذاتَ مساءٍ، قبضَ الشريفُ على عبدٍ فقيرٍ بتهمةِ قتْلِ الأيِّلِ في غابةٍ من غاباتِ الأمير جون. وبدون رحمةٍ أو شَفقة، أمرَ الشريفُ بتفتيشِ كوخِ العبدِ المسكين بحثاً عن المالِ وعندما اتضحَ لرجالِ الشريفِ بأن الكوخَ خالٍ من أيِّ شَروى نقير، أمرَ بإحراقه. ثُم إلتفتَ إلى رجالِه وقالَ لَهُم بنبَرةٍ آمرةٍ:

ـ حَسناً أيها الرجال، ضعوا قضبانَ الحديدِ على النار وبسرعة. يجبُ أنْ يفقدَ بصرَه على الفور وبدون تردد. صاحَ العبدُ الفقيرُ، مُتوسِلاً شاكياً:

ـ كلا.. كلا.. يا سيدي. أرجوكَ أن لا تفعَل ذلك. أحبُّ إليَّ الموتَ قتلاً بدلاً من العيش أعمى، شارداً.. اذا قضيتَ على بصري، سيُجازيكَ الله حتماً!

خالٍ من أي شروى نقير: خالٍ من أي شيء يستفاد منه

رُحماك! إرحمني أيها الشريف. أرجوك.

في هذا الوقتِ، وصلَ الأميرُ جون مُمتطياً حصانه وعلم بأمر هذا العَبدِ المسكين؛ لكنه لم يَرْحَمْ حالتَه، بل أضافَ قائلًا:

ـ هذا عَملٌ جيِّدٌ.. إنما يجبُ قطعَ لسانِه أولاً وإلاَّ سيصيحُ فيسمع نداءَه هذا الفارسُ الخطير..

سأله الشريفُ بنبرةٍ خائفةٍ:

ـ روبن هود؟

هزَّ الأمير جون رأْسَه علامةَ الموافقة وقالَ بنبرةٍ بائسة:

ـ أجل.. سيحضرُ روبن هُودْ فجأةً ويقضي علينا جميعاً بومضةِ عين. وتأكَّد بأن صوتَ هذا العبد اللعين أثناءَ تعذيبه، سيوقظ الملكَ ريتشارد في فلسطين!

إلتفتَ العبدُ الأسيرُ إلى الأميرِ جون وصاحَ متوسِلاً:

ـ أيها الأميرُ جون! أيها الأمير جون! خَلِّصني يا سَيِّدي. أرجوك. أستحلِفُكَ بالله، خَلِّصني!

ومضة عين: لحظة قصيرة

سألَ الأميرُ جون الشريفَ الذي يتأهبُ لوضع قَضيبِ الحديدِ المَحمي على عينيه بواسطةِ أحدِ أتباعِه:

ـ مَن هذا؟ وماذا فَعل؟

أجابَ الشريفُ:

ـ إسمُه «ماشْ». كان طحَّاناً فيما مضى. لكنه مُولَعٌ بأكل أيَّل الملك. أنظرْ أيها الأمير: أُصبعُه الأول والثاني قد قُطِعا وحالتُه هذه تُشير إلى حَقيقةِ أمره. قبضنا عليه اليومَ وهو يَصطادُ الأيَّل في غاباتِ الملك، والقانونُ واضحٌ وصريحٌ: كلُّ من يحاول إرتكابَ مثل هذه الجريمة الفظيعة مرتين، يفقد بصرَه على الفور وبدون أي تردُّد وفي المَرةِ الثالثة يُشنق. ولكن عندما يُصيبه العمى، هل يَستطيعُ اصْطيادَ الأيَّل بدون حاسَةِ البصر؟! لم أُصدِّقْ في حياتي انساناً يصطادُ الحيوانَ إستناداً الى حاسَةِ الشمّ!

ثم ضَحِكَ الشريفُ بصورةٍ مزعجةٍ وبَغيضة:

ـ ها ها ها! هل يُمكن اصطيادُ الأيِّل بواسطة حاسة

الشمِّ أيها الأميرُ الجليل؟

وابتسم الأمير جون لهذه النكتة السخيفة، ثم التفتَ الى العبدِ المسكين الذي يَجثو على ركبتيه ويرتعشُ كالوريقةِ الذابلة من شدَّةِ الخَوفِ، وقالَ لهُ بنبرةٍ مُرتبكةٍ:

ـ حَسناً يا هذا.

وعلى الفور، قال الأسيرُ بنبرةٍ بائسةٍ حزينة:

ـ ارجوكَ يا صاحبَ الجلالة لو تمنعهم عن إحراق عيني بهذا القضيب المُخيف. كيفَ يُمكنني بعدَ ذلك، إصطيادَ الأرنب والحمامة؟ عِندي ولدان، أحدُهما ماتَ بسَبب الجَوع والإبنُ الثاني ما زالَ يَئِنُّ ويَبكي مُنتظِراً رُجوعي إليهِ كي أسُدَّ رمقَه بلُقمةٍ ما. لا يُمكننا العيشَ للأبد بينَ فضلات طَعامِ الأغنياء.. نحنُ بشرٌ مثلهم أيُها الأميرُ الرَحيم.

أطرقَ الأميرُ رأسَه مفكراً، ثم قالَ له:

ـ لا بأس! إني مستعدٌ أن أغفرَ لكِ شرطَ

أسدَّ رمقه: اسد جوعته

أن تخبرني كلَّ شيء يَتعلَّقُ بهذا الفارس الشرير، الذي يَسرقُ أموالَ الأغنياء ويُعطيها للفقراء الخارجين على القانون والعائشين قتله في الغابات الكثيفة ويَنهبون كلّ عابر سبيل ولا يَخافون أحداً! قُلْ لي، أينَ هو الآن؟ ومَنْ هُم رجالُه الأشرار؟ إذا أخبرتني الحقيقة، سَلِمَت عيناكَ من العمى؛ وما هو إسمُه الحقيقي؟ يُنادونَه روبِنْ هُودْ، هذا إسمٌ مُستعار، أُريدُ أن أعرفَ إسمَه الحقيقي. إنْ لَزِمتَ الصَمتَ، فالموتُ بانتظارِك!

أجاب «ماتشْ» لاهِثاً:

ـ لا أعرف مَن هو! يَظهر روبنْ هُودْ في الغابة؛ ويقول الناسُ بأنه الروحُ الطيِّبة لغابةِ شِرْوودْ، وعندما ينتهي من تقديم المساعدة، يرحل بعيداً بصمتٍ إلى حَيثُ أتى. لم يَرَه أحدٌ في وضحِ النهار.

صاحَ الأميرُ جون بازدراء:

ـ أُفٍ لك أيها العبد التعِس!

ثم التفتَ إلى أتباعِه وقالَ لهم آمِراً:

بازدراء: باشتئزاز

ـ خُذوه بعيداً ونفِّذوا الأمرَ على الفور. هؤلاء المتشرِّدون لا يَردعُهم رادعٌ ولا يَهابونَ الموتَ.

ولما وصلوا به إلى مسافة غير بعيدة عن الأمير جون، تقدَّم أحدُهم من الأسير المسكين وتناولَ قَضيباً حديدياً من فوقِ النارِ وحاولَ وضعَه على عينيه، لكن «ماتشْ» أسرع منه، إذ سحبَ سيفَ هذا الرجل من غِمْدِه ثُم هرول كالمجنون شاهراً السيفَ في اتجاهِ الأمير جون، لكنهُ لم يَصِلْ إلى الحاكم الظالم.. إذْ أصابَه سهمٌ قتّالٌ من الأمام، في منطقة القلب، وأرداهُ قتيلاً عِندها، صاحَ الأميرُ جون مُندهِشاً:

ـ إنها إصابةٌ موفقةٌ فعلاً. إنما كنتُ أودُّ إستعمالَ هذا العبدِ الأسير طُعْماً سائغاً لهذا الفارس الخطير المعروف باسم روبن هود! إيه! كم أودُّ التعرُّفَ على هذا الفارسِ المجهول.

صمتَ قليلاً ثم قالَ لأتباعِه:

ـ مَن رَمى هذا السَهم؟

وما كادَ يَنتهي من عبارتِه هذه، حتى رأى فارساً

مجهولاً، يَرتدي العباءَةَ الخَضراء فوقَ رداءٍ جلديٍ بني اللونِ، وقد ظهرَ فَجأةً من جهةِ فُرْجَةٍ، وقالَ الفارسُ على الفَورِ للأمير جون وهو يَتقدَّمُ نَحوه وقد انحنى بكل خشوعٍ أمامَه:

ــ مولاي! إني أُدعى «وُرْمانْ»، اني قَهْرمان روبرتْ فيزوث، إيرلْ هانتينغدونْ.

إبتسم الأمير جون إبتسامةً ساخرةً، ثم قال غاضِباً:

ــ إيرلْ هانتينغدونْ! لقد سمعتُ بهذا اللقبِ قبلَ الآن! يا لَلْسَخافة! إنَّ «دافيد لُوردْ كاريكْ» هو الإيرلْ. وماذا تَعني بكلامِك هذا؟

قال الفارسُ بخبثٍ وهو يَتصنَّعُ الإرتباكَ ويؤَدي إنحناءَةَ التملُّق:

ــ عفواً يا مولاي. يوجدُ عددٌ وفيرٌ من الرجال. يَعتبرون فيتزوث: إيـرل هانتينغـدون، بفضل أُمه الساكسونية الأصل. إنه سيدي ولا أستطيعُ مناداتَه سوى ذلك.

قَهْرَمان روبرت: سكرتير روبرت

هزّ الأميرُ جون رأسَه ثم قالَ بطريقةٍ ناعمةٍ وخبيثةٍ كالحيةِ الرَقطاء:

ــ كم أتمنى التعرُّفَ على هذا الإيرلْ المُدَّعي! أتعتقد بأنه رجلٌ صادقٌ ووفيٌ؟

أجابَ وُرْمانْ بهدوء:

ــ أجل. إنه وفيٌ للملك ريتشارد!

عندها زمجرَ الأميرُ جون غاضِباً وقال:

ــ ريتشارد! ريتشارد! في كلِّ مكان، لا أسمعُ سوى أسم ريتشارد! لقد ماتَ ريتشارد أو هو موجود في دياجير السجون. عَبثاً يحاولُ هذا المغني المتجوِّل المجنون «بلوندِلْ» العثورَ عليه.. لن يجدَه أبداً. أنا الملكُ؛ لا أحمل الآنَ اللقبَ، لكني أنا الملك بالفعل.

صمتَ قليلاً ثُم سأَلَ «وُرْمانْ»:

ــ هذا الشخصُ الذي يُدعى فيتزوث، هل هو غَنيٌ؟ هل يَملِكُ الأراضي الشاسعة؟

أجابَ وُرمانْ:

دياجير السجون: ظلمات السجون

ـ كان يَملِكُ في الماضي الأراضي الشاسعة، ولكن لم يبقَ لـديـهِ الآن سـوى البيت وأرض «لُوكْسلايْ». أما بقيةُ الأراضي، فقد باعها.

صاحَ الأميرُ جون:

ـ هذا يعني بأن خزينتَه مليئةٌ بالذَهب!

أجابَ وُرْمان:

ـ في الحقيقة، لا أعلَمُ شيئاً بخصوص ثروتِه الموجودة في الخَزينة. أعتقِدُ بأن صديقَه الوحيد وحارسَه الخاص ويليام يكاتلوكْ، يعرفُ جميعَ أسراره.

ابتسمَ الأمير جون إبتسامةً ماكرةً، ثُم قال لورمان:

ـ إيهِ لو بإمكانِك اكتشافَ السر: كم تملك من الذَهب في خزينتِه! تأكد بأني سأُخصص لكَ حصةً من الغنيمة إذا نفَّذتَ مثلَ هذه المهَمة.. بإخـلاصٍ وأمانةٍ. ما رأيُكَ؟

قال «وُرْمان»:

ـ ماذا؟ تُريدني أن أخون سيِّدي؟ على كلِّ حال،

سأُساعدك يا مولاي بطريقةٍ ما. غداً، سيتزوج إيرلْ روبرتْ من اللادي ماريان، ابنة اللورد فيتزوالترِ. واليوم، يُقيم احتفالاً كبيراً عند المساء، في بيتِه الكبير: سيقصده عددٌ وفيرٌ من الضيوف.. واذا جئتَ حضرتُك يا مولاي مقنعاً كحاج مُسعَّف، من الديار المقدسة، وفي جعبتك قصةٌ شيِّقةٌ وطويلةٌ عن الملك ريتشارد.. سيكون الترحيبُ بـك حاراً وعـظيماً.. وبمقـدور الشريف أيضا أن يَقومَ بدور حاج مسَّعف، صديق لك: إنها خطةٌ بارعةٌ، أليس كذلك يا مولاي؟

هتفَ الأميرُ جون بإعجاب:

ـ إنها خطةٌ بارعةٌ حقاً! كم أهوى تدبيرَ المكائد! هيَّا، تعال معي أيها الصديق. وأنت كذلك أيها الشريف العزيز، إجمع رجالَك واتبعني لدينا الوقتُ الكافي للتسلية والترفيه. أما هذا الكلبُ الميت، فاتركْه في أرضِه، علامةَ إنذار وتحذيرٍ لروبنْ هُودْ!

ثم حدَّثَ نفسَه وهو يُداعبُ سيفَه: «ايه لو أَقبضُ الآنَ على روبنِ هودْ !سيقعُ بينَ يديَّ عاجلاً أَم آجلاً».

والتفتَ إلى جماعتِه وقالَ :

ـ هيَّا، إتبعوني. لِنَرحل الآن إلى منزلِ الإيرل روبرتْ. هيًا.

* * *

إبتعدوا عن هذا المكانِ الموحش، خيَّم السكونُ من جَديد على غابةِ شِروودْ، وما هي إلَّا لحظات معدودة حتى ظَهرتْ جماعةٌ من المُشردين البؤساء، إنها رؤوسٌ منحنيةٌ ووجوهٌ مشوَّهة. . وقد بدأتْ تنسلُّ رويداً رويداً وتقتربُ من جثة هذا الأسير المسكين. . إنها جثةُ «ماتش» الطحّان العجوز الذي أُلقِيَ جثةً هامدةً قرب كوخِه الذي أُحرِقَ وتحوَّلَ إلى حُطام.

تنهَّد أحدُ هؤلاء البؤساءِ وقال:

ـ آه. لقد ماتَ. الموتُ. . أفضل له من العمى! يا لَها من ظروفٍ عَصيبة. إننا نعيشُ أحلكَ الأيام وأشدَّها قساوةً!

وقالَ الآخر:

ـ لو لم يكن الحاكمُ الأمير جون شريراً، لَما انتشر الشرُ بهذه السرعةِ الراعبةِ في جَميعِ أرجاءِ إنكلترا.

وقالَ رجلٌ عجوزٌ آخر:

ـ ولكن. . عندما يَعودُ الملكُ ريتشارد من فِلسطين، ستتبدَّلُ الأحوالُ. لن يَدومَ الشقاءُ طويلاً، لكلِ بدايةٍ نهاية.

وقال متشردٌ آخر، بنَبرةٍ ضعيفةٍ، كأنهُ يُحدِّثُ نفسَه:

ـ وإذا لم يَرجعْ الملكُ ريتشاردْ إلى إنكلترا؟! . . عندها يصبحُ الأميرُ جون ملكاً؟ ويا مُصيبَتنا حينذاك!

ودنت امرأةٌ فقيرةٌ من الجمع وقالت لهم بنبرةٍ حزينة:

ـ هذا الولدُ المسكين، هو إبنُ الطَّحان القتيل، ما العمل الآن؟ لقد ذهبَ والدُه إلى الغابة ليصطادَ حيواناً ويقضي على الجوعِ الذي يُهدِّد ابنَه بالموت. لكنه لم يَرجعْ بل اصطادَه الأميرُ جون الشرير! مَن مِنكم بمقدوره مساعدة هذا الصبي اليَتيم؟!

ورمقهُ الجمعُ بنظراتٍ مليئةٍ بالمحبةِ والشَفقةِ، بينما كان الغلامُ جاثياً قربَ جثةِ والدِه ويذرفُ الدَمعَ مدراراً.

قال أحدُهم:

ـ لن يدعه روبن هودْ يموتُ جوعاً. انظروا. ها قد وصل أحدُ رجال روبن هود، «ويلّ سكارلِتْ» يَحمِلُ كيساً مَليئاً بالطعام. ليبارك الله روبن هود، هذا الفارس النبيل، الذي يأتي لنجدتِنا كالملاكِ تَماماً.

في هذا الوقت، دَنا منهم رجلٌ، طويلُ القامة، يُناهِزُ الأربعين من العُمر، يَرتدي ثوباً أحمرَ اللون. وهو مشهورٌ بثوبهِ الأحمر الخَمري. وعندما دَنا منهم، عرفه المتشردون الفقراء، وهتفوا:

ـ هذا هو «ويلْ سكارلِتْ»، أحدُ رجالِ روبنْ هُودْ!

بينما أنزل سكارلِتْ الكيسَ الكبيرَ عن ظهرِهِ ووضعه على الأرض، قائلاً بنَبرةٍ هادئةٍ:

ـ لا تيأسوا يا رفاقي. لقد أرسلني سيدي وصديقكم الوفيُّ روبين هود، أرسلني إليكم مع هذا الكيس الثَقيل، كي أُبعِدَ عنكم شبحَ الجوع. إذْ عَلِم بأنَ

الأَميرَ جون والشريفَ الشرير وأتباعَهما قد زاروا الغابة هذا اليوم؛ وكالعادة، لا يَتركون وراءَهم أينما حَلُّوا سوى الخراب والشقاء.

صاحَ الجمعُ بصوتٍ واحدٍ:

ـ ليبارك الله روبن هود الأبيّ الشجاع. أما الولدُ المسكين، فظلَّ يتأوهُ ويبكي والدَه الميت، دَنا منه «سكارلِتْ» ووضعَ يدَه بحنانٍ على كتفه وقال:

ـ يا لَلجبناء! لقد قَتلوا «ماتش» العجوز! لا تيأس يا بنيَّ. إنه يَرقدُ الآن في سلامٍ أَبدي. لقد ارتاحَ مِن مكائد الأَشرار الشياطين. لقد ماتَ بسرعة. اخترقَ السهمُ فؤادَه، في الصميم. أمرٌ عجيبٌ! هذا السهمُ الذي اخترقَ صدرَ «ماتش» العجوز لا يَخصُّ رجالَ الأَمير جون: إنه يخصُّ أحدَ رجالِنا. لقد قتلَه بسرعة ليخلِّصَه من التَعذيبِ الشديد. التفتَ اليه الغلامُ اليتيمُ وقال مُتوسلاً:

ـ دَعني أذهبُ معكَ لأَخدمَ بكل إخلاصٍ سيدَكَ النبيلَ. أعلم بأني في الثانية عشرة من العُمر. لكن

الأَحزانَ جعلَتْ مني راشداً بسرعة. . وأَودُّ الإِنتقامَ لوالدي من هَؤلاءِ المُجرمين الطُغاة.

قال ويلّ سكارلتْ بلُطفٍ:

ـ نحنُ يا بُنيّ لا نُقاتل في سبيل الإِنتقام، بل في سبيل العدالة. تعال معي. نحنُ بحاجةٍ الى غلامٍ شجاعٍ مثلك. أَنت شجاعٌ مثل أَبيك وستكون وفياً مثلَه. الولدُ سِرُّ أَبيه.

في هذا الوقتِ، دوَّى هتافُ الجمعِ بصوتٍ واحدٍ:

ـ **عاشَ روبن هود! عاشَ الملك ريتشارد!**

* * *

كيف أَصبح روبن هود، رجلاً خارجاً على القانون.

في ذلك المساء، كلُّ شيءٍ بدا هادئاً وطبيعياً وتظهرُ السعادةُ واضحةً على وجوهِ أَصدقاء وصديقاتِ روبرت فيتزوتْ الذي يحتفلُ هذه العشية بزواجِهِ من «ماريان فيتزوالتِر». . وتمَّ الإِتفاقُ على عقدِ القرانِ عندَ الصباحِ الباكرِ.

عقد القران: عقد الزواج

وقف إيرل روبرت قربَ المدفأةِ الكبيرة، مُرحِّباً بالضيوفِ الأَعزاء والإِبتسامةُ الحلوةُ لا تُفارقُ ثغره. إنه رجلٌ بكل معنى الكلمة. جميلُ الخَلْق والخُلق، ممشوقُ القوام، يُناهزُ الثلاثينَ من العُمر، شعرُه بني ولحيتُه القصيرة تُضفي على وجهِه المعبِّر، جاذبيةً خاصةً ومسحةً من الرجولةِ والإِرادة الصلبة مع ضَربٍ من الرأفةِ والتسامح. سريعُ الحركة لكنهُ غيرُ مُتسرِّع. إنه رجلٌ عَملي، وبمقدوره أن يَرى الأَشياءَ بوضوحٍ وأَن يُعطي أَوامرَه بهدوءٍ ورويّة.

أَمَّا اللادي ماريان فيتز والتِر، فكانت تجلسُ إلى جانبه. تصغرُه بخمس سنواتٍ، طويلةُ القامة، بهيةُ الطَلْعة، وتَشعُّ من عينيها الجميلتين، الإِرادةُ الصَلْبةُ والشجاعةُ النادرةُ. «وما وافقَ شنّ إلاَّ طبقة».

في هذه اللحظة بالذات، تشعر ماريان بأنها أَسعد مخلوقة في الدنيا، لم لا؟ وهي الحبيبة والغالية على قلب فارسها الشجاع إيرل روبرت والمعروف بأسم روبن هود. والأَصدقاء والصديقات أَيضاً. يَشعرون الآن بالسعادة الحقَّة ويشاطر أَفراحها. تارةً ينشدون

الأغاني الشعبية الساكسونية وطوراً يرفعون عالياً الطاسات أو القرون المليئة بالميد أو المِزْر، هاتفين:

ـ نَشربُ الآنَ نَخْبَ العَروسين الحَبيبين. عاش الإيرل روبرت وعاشت اللادي ماريان.

وبين الحضور، يوجد الأمير جون والشريف، لكنهما يرتديان رداء الحاج المسعف، ولم يخطر ببال أحد بأنهما الآمير جون الحاكم الطاغي والشريف، مرافقه القاسي القلب والمستبد بشئون الرعية. تمتم الأمير جون وشرارة الغضب تتطاير من عينيه:

ـ إني أَشتم رائحةَ الخيانة. إنه أَمر واضحٌ للغاية!

هزَّ الشريفُ رأسَه علامةَ الموافقة وقال بصوتٍ خافتٍ:

ـ إنه عِشٌ من الخوَنة، يا مولاي: إنهم من أنصار الملك ريتشارد.

وفي هذا الوقت بالذات، إقتربت جماعةٌ من ساكني الأحراج وبدأت بالإنشاد قربَ البابِ الرئيسي:

المزر والميد: المقصود منقوع الذرة وهي من المواد المسكرة

عاشَ ريتشارد

روبين وريتشارد

عاشَ ريتشارد!

ليسقط جون!

هيّا نشرب

جميعاً، في آن واحد

نخبَ قلبِ الأسد!

تمتمَ الحاجُ الأَسود بنبرةٍ غاضبة:

ـ بالفعلِ، ليسقط جون!

ثم التفتَ إلى صديقِه وُرْمان وقال له بصوت خافت:

ـ اني أثِقُ بك ثِقةً عمياء! معكَ حق، هذا عِشٌ من الخونة!

وبعد أن انتهى الجَمْعُ من الإنشاد، التفتَ الضيوفُ إلى جهة الباب. مَن الداخل؟ عندها، إنتفض الشريفُ كمن لسعته الأفعى، وقالَ لمولاه جون وقد جحظت

عيناه من شِدَّة الغضب:

ـ أَتعرِف مَن هو؟.

ـ مَن؟

ـ هذا الصبي القادم الآن.

ـ كلاَّ. مَن هو؟

أَجابَ الشريفُ بصوتٍ يُشبه فَحيحَ الأَفعى:

ـ إنه إبنُ الطَّحان العجوز الذي تركناهُ جثةً هامدةً لكلابِ الغابة!

التفتَ الشريفُ المتنكر برداء الحاج المُسعَّف، الى ورمان وقال له موشوشاً:

ـ وماذا يعني وجود هذا الغلام في هذا المكان؟

أَجاب ورمان موضِحاً:

ـ والده، الذي قُتِل هو أَحدُ أَتبَاع روبن هود.. ثم ابتسم وقال للأمير جون:

ـ لو تعرف من قتل هذا الطَّحان الخائن!

فحيح الأفعى: يسمى صوت الأفعى الفحيح

من؟

ـ انا بالذات يا مولاي! رميته بسهمي القَّتال عندما رأيته صدفةً ينقضّ عليك ليؤذيك.. لا سمح الله! أما ابنه هذا، فقد اهتم به احد رجال روبن هود ويُدعى ويل سكارلِتْ. وهو الآن بصحبته.

تنهدَّ الأمير جون آسفاً:

ـ آه! إني المسُ الخيانةَ لمسَ اليد. يا لَهم مِن جَماعةٍ خَونة! «ويل سْكارلِتْ» يهتم بـأُمور ابن «ماتش» الخائن! روبن هود يَحمي هؤلاء الأَعداء في عُقر مملكتي! إنه يَستخدم عائداتِ أَراضيه لأُمورٍ خَفيّة.. آه! بالإضافة إلى هذه الأُغنية التي يَنشدونها:

عاشَ ريتشارد

روبين وريتشارد!..

أَجل، كلُّ شيءٍ واضحٌ تمامَ الوضوح. حَسناً، غداً، سأَحكم عليهم الحكمَ النِهائي الصارم. غداً، سأُعلن للملأ أجمع: روبرت أو روبين هود هو رجلٌ خائن،

خارجٌ على القانون! وعندها، تُصادَر جميعُ أراضيه وممتلكاته.

وقالَ الشريف بحماس:

ـ ولمن تُصادَر أراضيه يا مولاي؟

أجاب الأمير جون باعتزاز:

ـ لي أنا.. بالطبع! أما العروس ماريان فسوف أُقدِّمُها هديةً للسير «غي» ومع موافقةِ والدِها. أما دوطتُها فسوف تُدفع لي أنا... وليس للسير «غي»!

* * *

وفي اليومِ التالي، ذهبَ الجميعُ إلى كنيسةِ «دير الينابيع» لعَقد قرانِ روبن وماريان. وبدا والدُ العروس، اللورد فيتز والْتِر، عصبيَّ المزاج، مُضطرباً، عكسَ ماريان، التي بدَتْ هادئةَ البال، مُتفائلة.. هي ووالدُها اللورد سَبقا روبن هود إلى الكنيسةِ وانتظراه مدةً وجيزةً قربَ المذبح.. إلى أن وصلَ أخيراً وبصحبتِه الفرقةُ المختارةُ من رجالِه الأشداء. طلبَ روبن من رجالِه

دوطتها: مهرها.

الوقوفَ بنظامٍ قُربَ بابِ الكنيسة بينما اتجهَ هو لِوحدِه إلى ناحيةِ المَذبح وأَمَرَ رئيسَ الدير السمينَ والقصيرَ القامة، بالإنشادِ الطَقْسي الخاصِ بالزواج. وبالفعل بدأ الكاهنُ السمينُ بالإنشاد بصوتِه الجَهوري الرنّان بينما يجاورُه صفٌ طويلٌ من الكهَنة وهم يُردِّدون وراءَه الإنشادَ الكنائسيَ وراءَ مذبحٍ عريضٍ ومُزركش.

وقبلَ أن يلفظَ رئيسُ الدير الكلماتِ التي تجعلُ من روبين زوجاً شرعياً لماريان.. إذْ بحوافرِ أحصنةٍ تُسمعُ من بعيدٍ وهي تقتربُ رويداً رويداً في اتجاه المذبح.. ويُسمعُ من بعيدٍ صليلٌ وقعقعةٌ وجلجلةُ أسلحةٍ، بينما انطلقَ فارسٌ مجهولٌ إلى داخلِ الكنيسة شاهراً السيفَ بيده وتتبعه عصابةٌ من الرجالِ المُسلَّحين.

عندها، صاحَ رئيسُ الدير غاضِباً:

ـ ما هذا العمل الوقح والدنيء؟ إنه انتهاكُ الحرمات المُقدسّات!

صرخَ الفارسُ المجهولُ بأعلى صوتِه:

ـ إبقوا حيثُ أنتم. لا تتحركوا. إني السير غي جيسبورن، جئتُ بأسم الملك لأمنعكم عن عَقدِ هذا الزواجِ الباطل!

ثم التفتَ إلى أحدِ رجالِه وقالَ له آمِراً:

ـ أيُها المرافق، إقرأ بصوتٍ عالٍ الأمرَ الرسميَ!

إقتربَ رجلٌ يَرتدي بزّةَ شريف مدينة نوتينغهام وبسَط ورقةَ البرشمان وقرأ بصوتٍ عالٍ:

ـ «ليعلم الجميع، باسم الأمير جون، حاكم إنكلترا بأسرها، بأن روبرت فيتزوثْ المعروف بروبرت إيرل هانتغدون، والمعروف أيضاً باسم روبن هود، الذي حَثَّ اعداءَ الملك على التمرُّد على النظام، يُعتبرُ من الآن فصاعداً، خارجاً على القانون، وقد صودرت أراضيه وممتلكاتُه، وحُرِمَ كذلك من حمايه القانون وحُكِمَ عليه بالنفي. بأسم ريتشارد ملكِنا، وباسم الوصي على العرش، الأمير جون!

قال روبن بهدوء:

ـ يا سير غِيْ، هذا مطلبٌ وتحقيقٌ باطلٌ بالنسبة لهذا التفويض الرسمي، أشكُّ بخصوص سَريان مفعوله. إنه غيرُ قانوني. دَعني أرى خَتْمَ الملك ريتشارد المُرفق بهذا التَفويض. هذا غيرُ ممكنٍ. لأنه غيرُ موجود. او دَعْني أَرى خَتْمَ سيدي أُسقف «إلي» الذي عينَّه الملك رسمياً وصياً على العرش اثناءَ غيابه. يا للَعجب! يبدو بأن إمضاءَ الأُسقف أيضاً غير موجود على هذا التفويض!

واعلم بأَني لا اسمح لك بتهمة الخيانة التي توجهها اليَّ. ليس خائنا من يُدافع عن المظلوم ويُساعد الفقيرَ ويُحاربُ الحاكمَ الطاغي!

ضحكَ السيد «غي» ضحكات مزعجة، وقالَ ساخراً:

ـ كلُنا نعلم بأنك حرَّضتَ العبيدَ ضد الأَسياد. ثُم لا يحقُّ لكَ أن تُسمّي نفسَك «إيرل هانتينغدون لأنك نورماندي. رغم أن أُمـك ساكسونية. وهذه خيانَة! وكم من أَشخاص تناولوا على مائدتِك لحمَ الغزال!!

أنتَ بنفسك كنتَ تصطاد الغزالَ في غابةِ الملك. وأنتَ مشهورٌ بمهارتِك في إستعمال السَهم. وأخيراً، لا تَستطيع أن تنكرَ

تَستطيع أن تنكرَ الجرائِمَ العديدةَ التي ارتكبتها تحتَ إسمِك المُستعار: روبن هود! فكلُّ طريدِ عدالة، يجدُ ملجأً ومأوىً في بيتِك.

وبهدوءٍ، قالَ روبن هود وابتسامةُ الواثق من نفسه لا تُفارِقُ شَفتيه:

— ناديتني الآنَ: روبنْ هُودْ. حسناً، إعلم أنتَ والشريف والأمير جون، ستقضون من الآن فصاعداً، حياةً مليئةً بالرُعب والقَلَق وسيَظلُّ شبحُ روبن هُودْ، الفارسِ العادل ونصيرِ المحرومين. سيظلُّ يُلاحِقُكم بلا رَحمة أو شَفقة حتى مَثواكم الأخير. لن يَقضَّ مضاجعَكم فقط، بل سيقضّ مضاجعَ رؤساء الدير والأساقفة الذين يَسْمَنون اكثر واكثر على حساب آلامَ وحرمان الفقراء. أجل، سأظل شاهراً سيفي لأجل جميعِ أبناء إنكلترا، لأجل الشعب الواحد، الذي

تُحاولون تقسيمَه وإذلالَه، أنتم الثعالبَ، لتُسيطروا عليه وتمتصوا دمَه. أنتم وحوشٌ مفترسةٌ، لا تؤمنون إلا بالكَسب الحَرام ولا شيءَ سِوى ذلك. يا لَكُم من أنانيين جُبَناء!

أنا روبن هود، أُعلِنُ للجميع بأني سأظلُّ شاهِراً سيفي لأجلِ جميعِ المحَرومين في وطني المعذَّب الحبيب.. إلى أن يعودَ الملكُ ريتشارد من فلسطين.. ويُعيدَ كلَّ شيءٍ إلى نِصابه.

ثم التفتَ إلى حبيبتِه، ماريان فيتز والتر، وقالَ لها بنبرةٍ لطيفة:

— لادي ماريان، هل تَهبين حبَك لإيرل هانْتينغدونْ الذي يَملكُ الأراضي التي تمتدُ من نهر ترْنت إلى نهر أوزْ، أو تُفضّلين روبنْ هُودْ الخارجَ على القَانون الذي يَرجعُ الآن إلى موطنِه الأُم، تحتَ الأوراق الخضراء في غابةِ شِرْوودْ؟

قالتْ ماريان:

— لا يَهمُني المالَ ولا تهمُني الألقابَ والثَروات،

الأناني: الذي لا يحب الخير إلا لنفسه

جُلَّ ما أُريدُه هو تكريس حياتي لأَجلِ الإِنسانِ الذي أُحِبُه. . وحياتي هي ملكُ يديه فقط.

قال روبن هود:

ـ هذا ما كنتُ أتوقعه.

والتفتَ إلى والدِها وقال:

ـ لم يَتم الإحتفالَ. . هذا لا يَعني بأني سأتراجع عن قراري أيـها اللورد فيتز والتر، أَترك ماريان أَمانةً بين يديك، إحتفظْ بها في قصر أَرلينغفورد؛ وسأَطلبُ يدَها للزواج عندما يَرجعُ الملكُ ريتشارد. . وسوفَ يتم الزواجُ بإشرافِه وبرعايته.

صاحَتْ ماريان:

ـ قَسماً بحبنا الطاهر، يا روبين، ستكون أَنتَ وحدَكَ سيِّدي وزوجي ما حييتُ.

وجَّه روبن كلامَه إلى والدِها اللورد فيتز والتر:

ـ إذهبْ الآن بسرعةٍ. . وأنتِ أَيضاً يا ماريان، إذهبي مع والدِك. لا تَقدرين الآن على تقديم أيةِ

مساعدةٍ لي. عندما أَقضي على هؤلاء الخونةِ الجُبناء، سأمضي فوراً إلى الغابةِ الخضراء مع رفاقي الأوفياء.

صاحَ السير «غِيْ» بنَبرةٍ غاضِبة:

ـ تعال الآن، أَيها الخائن الزائف، أَيها الخارج على القانون. . تقدَّم وسَلِّمْ سيفَك واستسلِمْ لسُلطةِ سيِّدِكَ اللورد، الأَمير جون. إذا فعلتَ ذلك، نجوتَ مِن الموت. سيغفُر لك، بالتأكيد.

صاح روبن هود:

ـ أميرُك هذا، لا يَعرف التسامحَ ويملأ الحقدُ قلبَه. أَميرُك هذا، لا يُلبّي إلاَّ رغبات قلبِه الشرير. أما بالنسبة لسيفي، فلن أَشهره إلاَّ بهذا الشكل.

أُنظرْ كيف.

وبومضةِ عين، استلَّ سيفَه من غمدِه، وضربَ السير «غِيْ» فوقَ خَوْذَتِه، ثم استعجله بضربةٍ ثانيةٍ، أَشدَّ فَتكاً من الضربةِ الأولى، فرماهُ أَرضاً من فوق جواده. . وأرداهُ جسماً جامداً، غائباً عن وعيه. ثم انسابَ بخفةٍ ورشاقةٍ من بين المقاتلين، من صحن الكنيسة، ولحقَه

استل سيفه: سحب سيفه

رفاقُه الشجعان، وجرَتْ معركةٌ حاميةٌ ومختصرةٌ قربَ باب الكنيسة. أخذ رئيسُ الدير يَصيحُ من شدةِ الخوفِ والغَضبِ:

ـ النجـدة! النجدة! مجـزرةٌ! انتهاكُ خـرماتِ المُقدَّسات!

لكن الكهنة، فضلّوا اللجوءَ إلى الهرب السريع، فاتجهوا جميعاً نحو الباب الخَلْفي الذي يؤدي إلى الدير، وتواروا عن الأنظار غيرَ مبالين بنداءات رئيس الدير واستغاثتِه المستمرة.. بينما أسهمُ رفاق روبن هود، تنطلقُ مسرعةً لتستقرَّ في رأسٍ أو في صدر رجالِ السير «غِيْ».. وهطلت الأسهم كالمطرِ فوقَ رأس رئيسِ الدير السمين؛ والتفتَ إلى يمينه ويساره، ولم يرَ أحدا من الكهنة إلى جانبه، فلم يَجدْ أمامَه سوى الفرار كالغزالِ من الباب الصغير الخَلْفي، تَماماً كما فَعل الآخرون، رافعاً يديه الى السماء، مُولولاً مُستنجداً.

وبواسطةِ وَقْعِ حوافر الأحصنة، أيقَن روبن هود بأن حبيبتَه ماريان ووالدَها اللورد وجماعتَه، قد ابتعدوا

أخيراً بسلام عن هذا المكان، حيثُ تحتدمُ في الوقت الحاضر معركةٌ حاميةٌ في صحن الكنيسة وخارجها بينَ رجال روبن هود الأشداء وأتباع السير «غي»، الذين يَنهزمون الواحدَ تِلْوَ الآخر، بفضل حِنْكَةِ روبن هود وشجاعتِه النادرة وبفضل حُب رجالِه له وإخلاصِهم حتى التضحية بالنفس الغالية، بدون تَردُّد أو تَقاعُس.

إتجه اللورد وماريان وأتباعُه إلى قصر أرلينغفورْدْ، وانطلقَ روبن هودْ مع رجالِه إلى غابةِ شِرْوودْ، بعد أن أعطاهم إشارةً خاصةً كي يَنسحبوا برشاقَةٍ من المعركة بعد أن كبَّدوا عدوَّهم خسائرَ فادحةً وتواروا بعد لحظات عن الأنظار، داخلَ الغابةِ الكثيفة بين الأوراق الخضراء وجذوع الأشجار الغليظة والمتشابكة كأنها كتلةٌ نبتيةٌ واحدة.

وفي هذا الوقت، أعانَ أحدُ الرجالِ المُنهزمين قائِدَهم المُصاب، السير غِيْ، أعانَه على الوقوفِ على قدَميه، وقال بعد إعياء:

ـ حسناً، لن نلحقَهم الآن. سوف أتصلُ بالشريف

حنكة روبن هود: ذكاء وخبرة روبن هود



والصديقِ الوفي «وُرمان». لن تكونَ هذه، المعركةَ الأخيرةَ.

قالَ له أَحدُ أتباعِه وهو يَلْهَفُ من شدة الإرهاق والهَلع:

ــ هذا روبن هود! كأَنه الشيطانُ بذاته! لا تعرف يا سيدي متى يهجمُ وكيف يضربُ ومتى ينسحبُ إلى غابة شِرْوودْ. والويلُ لمن يدخلُ الى هذه الغابة، فالموتُ بانتظاره.

ودخلَ السير «غي» محمولاً على الأكتاف إلى الدير، كأنهُ خرقةٌ باليةٌ، مع البقيةِ الباقيةِ من رجالِه الذينَ حمَدوا ربَّهم لأَنهم ما زالوا واقفينَ على قدَميهم ولم يُلاقوا المصيرَ المحتومَ وهو الموت بسهمٍ خاطفٍ يَرميه روبن هود بوَمضةِ عينٍ أو يرميه أَحدُ رجالِه الذينَ درَّبهم على استخدامِ القوسِ والنشَّابِ بمهارةٍ فائقةٍ ذهَبتْ مَضربَ الأَمثال عبرَ العصور.

إستقبله رئيسُ الدير بالتَرحابِ وعالَجه بكل محبةٍ وإخلاصٍ، ثم دعاهُ إلى تَناولَ طعامِ الغَذاء. ولبَّى

الهلع: شدة الخوف

السير «غي» الدعوة شاكراً موافقاً وهو المقاتلُ الجريحُ المنهزمُ، الذي أنهكَهُ التَعبُ وحوَّلته الهزيمةُ إلى رجلٍ شاردٍ، تائهٍ وحائر. رفعَ رئيسُ الدير القدحَ المليءَ بالخمرةِ المعتَّقة ليشربَ نخبَ السير «غي»، لكنه تمالكَ نفسَه ثُم استبَّد به الغَضبُ وصاحَ مُزمجِراً:

ـ يا له من وَغدٍ مُلْحِد! معك حق، إنه خارجٌ على القانون حقاً! يا لَلعار! إنه انتهاكٌ فاضحٌ لحرمات المقدَّسات.

آه.

ثم رفعَ يديه مع القَدْح عالياً وبصره أيضاً، كأنه يحَدّثُ ربَّه في السماء:

ـ آه. ليُبارك الله الرجلَ الذي يَقطعُ رأسَ روبن هُودْ!

أما السير «غِيْ» الذي غابَ رأسُه بين الرباط الكثيف الذي استعانَ به رئيسُ الدير ليُخفِّفَ مِن وَطأةِ الضربةِ التي وجهَّها روبن هود على أم رأسِه وأطاحَتْ به بومضةِ عينٍ. فهزَّ رأسَه المنكوبَ وقالَ بصوتٍ ضَعيفٍ:

ـ هذا إنسانٌ خَطِرٌ! ما دامَ بعيداً عنا، ما دام الخطرُ كبيراً.

ثم وضعَ يدَه على نافوخِه وقال مُتنهداً:

ـ وكيفَ أنسى روبن هود، هذا الفارسَ الوغدَ!؟ آه، لو أستطيعُ القبضَ عليه حياً أو مَيْتاً!

اقتربَ أخُ وهو أطولهم قامةً وأحسنهم صحةً وعافيةً، وقال:

- إن روبن هود رجلٌ كفؤ ونبيل إنه أفضل وأمهر رامٍ في إنكلترا ويَستطيعُ أن يُصيبَ أيَّ هدفٍ بسهولةٍ مُدهشة.

صاحَ رئيسُ الدير غاضِباً:

ـ يا أخ ميشال! ما هذا الكلام؟ إنكَ تنطقُ بالخيانة! هل يُمكنُ لرجلٍ خارجٍ على القانون أن يكونَ كَفؤاً ونبيلاً؟ وبعد! إنكَ تمتدحُه لمهارتِه كَرامٍ فريدٍ من نوعه!.

قال الأخُ ميشال مؤكِّداً:

نافوخه: رأسه.

ـ أجل، بإمكانه أن يُمزِّق ويَفلق بسَهمه قضيباً رفيعاً كشجرة الصفصاف على بُعد مئتين خَطوةً!

إبتسم السير «غيْ» إبتسامةً ساخرة وقال:

ـ هـذا ممكن. لكنه الآن رجلٌ خارجٌ على القانون. . وتأكَّد بأن السهمَ المذكورَ سيُصيبه قريباً في صميمِ قلبه. . وسيُرديه قتيلاً!

وجَّه الأَخُ ميشال كلامَه إلى السير غي، بهدوءٍ، مُحذِّراً:

ـ إنهُ لأمرٌ خطيرٌ أن تجعلَ فارساً شجاعاً كروبن هود، رجلاً خارجاً على القانون. لقد إستوليتَ على بيتِه. أين يسكُن؟ أكيد، في الغابة! إستوليتَ على قطيعِه وماذا يأكل؟ أكيد، غزلانَ الملك! لقد سرقتَ مالَه وممتلكاتِه. . ولا عجب إن تحوَّل بعد ذاك، إلى رجلٍ ثائر سيَسرق مالك وأموالَ أمثالِك. وبعد الآن، تأكَّد، لن يهمَّه مقاتلاً ولا شريفاً ولا رئيسَ دير ولا أُسقفاً. . ولن ينجو منه أَحدٌ. . من الآن فصاعداً.

عندها قال السير غي، بلؤم ظاهر، وبصوت يشبه

فحيح الأفعى:

ـ وهذا سبب كافٍ للإستعجال بالقبض عليه وشنقه بأسرع وقت ممكن. ثم وجه كلامه الى رئيس الدير:

ـ حدثني أيها الأَب الجليل، عن اللادي ماريان: كيف رضي والدها اللورد فيتز والتِر، بهذا الشخص فيتزث، زوجاً لها؟. . مع ان الوالد والابنة يعرفان حق المعرفة بأنه روبن هود بالذات!

قال الأَخ ميشال، على الفور!

ـ حقاً، إنها فتاة رائعة! إني كاتم أَسرارها. إنها رائعة بكل معنى الكلمة. إنها تتمتَّعُ بالجمالِ واللُطفِ والحِسِّ المُرهَف والأَخلاق العالية. تستعملُ السيفَ والقوسَ والنشَّابَ بمهارةٍ مُدهشَةٍ لا تَقِلُّ عن مهارَةِ روبن هود. باختصار: أفضل زوجةٍ لأفضل زوج. واعلم أيُّها السير الفاضل بأَنَّ تفـويضَـك الكـاذبَ وحاكمَـك المغتصِبَ الأمير جون ورجالَك الجُبناء، غيرُ قادرين على فَصْلِ ما ربَطَهُ الله بين عاشِقَين شريفين.

إستشاطَ السير «غيْ» غَضباً، وقالَ مُهدِّداً:

استشاط غضباً: امتلأ غضباً

ـ بودِّي لو أقطع رأسَك بهذا السيف البَتّار. لكنَّ ثوبَك يَمنعني عن تنفيذِ رَغبتي هذه.

صاحَ رئيسُ الدير خانِقاً:

ـ آه! سأفرضُ عليكَ العَملَ التكفيري أيُها الأخ ميشال جزاءً لكلامك الوقِح هذا!

أجابَ الأخُ بهدوءٍ:

ـ لا تُتعِب نفسَك أيُها الأبُ الجليل. إني ذاهبٌ إلى قصر أرلينغفورد. سيرحِّب بي اللورد أجملَ ترحيبٍ. وسيكونُ هناك، مقرِّي الدائم.

وقال السير «غِيْ» بنبرة خبيثة:

ـ سأرافقك أيها الأخ المحترم ثم مرَّر لسانه على شفتيه كالخنزير العاشق وأضاف:

ـ هذه الماسة من الجمال، اللادي ماريان، تستحق مثل هذه الزيارة.. وسأستعين بها كطُعم لايقاع روبن هود في فخٍ بارعٍ!

* * *

روبِنْ هُودْ في غابة شِرْوودْ

مع رجاله الشجعان

مئة رجل شجاع
يحاربون مع روبن هود
دائماً مستعدون
لتلبية النداء
رماة بارعون، حُماة
يرتدون جميعاً في
غابة شروود
القبعات الحمراء والزرقاء
سهامهم جيدة وقتّالة
مصنوعةٌ من طَقسوس
الإسبان، متينة
بشكل مدهش ومخيف.
تتجاوز ثلاثة أقدام
طولاً!..

* * *

روبن هود روبن هود
مع مئة رجل فقط
نشر الرعب والدمار
في نفوس المجرمين الطغاة! . .

* * *

وفي اليوم التالي، رحل السير «غِيْ»، الى قصر أرلينغفورد وبصحبته الراهب «الأخ مايكل» الذي طرد نفسه بنفسه في الليلة السابقة، عندما مدح علانيةً وبحماس روبن هود، الخارج على القانون.

رغم أن رئيس الدير طرده، قائلاً:

ــ اخرج من هنا، ايها الرجل الخائن والزائف؛ وارجع الى سابق عهدك وتحت اسمك العادي: مايكل تاكْ. ولا يحق لك من الآن فصاعداً ان تعتبر نفسك أخاً في هذه الرهبنة. واذا جئتني مرة ثانيةً الى هذا الدير، قفلتُ الباب في وجهك!

والآن يمتطي الأخ مايكل تاكْ حصانه فرحاً أشد الفرح، ويصيح بسرور عظيم:

ــ وداعاً لدير الينابيع ويا مرحباً بالغابة الخضراء المفرحة.. وحاول ان تقبض عليّ مرةً ثانيةً إن استطعت، أيها الأب الجليل!

وبدأ يُغنيّ بأعلى صوته وهو يبتعد عن الدير:

ــ مرحىً! مرحىً! مرحىً!

بالطيور والزغاريد
بالطبيعة ومفاتنها
بروبن هود ورفاقه
المخلصين الشجعان
الغزال يفر ويتوارى
والطير يقفز ويطير
والصياد حائر مرتبك
لا يعرف كيف ذهب
وأين؟!
يا مرحى! يا مرحى!

* * *

ثم ضحك فرحاً وتأمل الحقول الخصبة الباسمة

وتنهَّد مثلَ عصفور غافل صاحبَه وفرَّ من القفص بعد أن تُركَ البابُ مفتوحاً سهواً . على مصراعيه .

واخيراً، وصلا قرب قصر أرلينغفوردُ، توقف الأخ مايكل عن الانشاد والتفت الى السير «غِيْ» قائلاً :

ـ من الأفضل لو ترجع أيها الفارس العزيز. أو على الأقل، إختبىء ورائي.

قال السير غي معترضاً :

ـ ما هذا الكلام؟! هل يوجد اتفاق سري بين اللورد فيتزوالترْ وروبين هود؟!

ضحك الأخ مايكل وقال بنبرة ساخرة :

ـ هذا أمرٌ مستحيل! ولكن اللادي ماريان متضامنةٌ سراً مع روبن هود. واللادي ماريان قادرة على إصابة ثقب الإبرة بسهمها القتّال.

وما ان رأى اللورد الضيفين قادمين من بعيد، حتى هرع اليهما مرحباً، مغتبطاً. عندها، قال السير «غِيْ» بنبرة خبيثة :

ـ ربما أخطأتُ في زيارتي اليك. أعني، ربما سببتُ لك الحرج والإزعاجَ. تنهَّد اللورد وقال مُعترضاً ومؤكداً على ترحيبه الحار :

ـ أخطأت في زيارتك؟! ما هذا الكلام أيها السير العزيز؟ بالعكس، إني أُرحب بك أيّماترحيب. أتعتقد بأني موافق على زواج ابنتي من رجل ثائر، خارج على القانون، طريد العدالة، قاتل أيِّل الملك واتباع الأمير جون؟ ويختلس ثروات الأثرياء ليساعد العبيد الفقراء المضطهدين؟ كلا يا سيدي كلا. لقد أسديت لي معروفاً عظيماً. إنتهت علاقتي مع روبين هود، وهذا هو قرار ابنتي أيضا.

قال الأخ مايكل معترضاً :

ـ لكنها مرتبطة بروبن هود برباط حبها الصادق له.

صاح اللورد فتيزوالْترْ غاضِباً :

ـ لم يتم الزواج إطلاقاً. اما بالنسبة لحبها، فانت كاهنها ومن واجبك ان توضح لها بأن مثل هذا الحب

مناقض لتعاليم السماء. . وبالتالي انها ترتكب خطيئة مميتة وشنيعة. أليس كذلك؟

أجاب الأخ مايكل:

ــ يتم الزواج في السماء. والحب هو من صنع الله. ولا يحق التطفل في أمر لا يعنيني. قال اللورد فيتزوالتر بنبرة غاضبة:

ــ لم يتم احتفال الزواج حتى النهاية. . هذا يعني بأن السماء لا تباركه. ثم، اضافة الى معلوماتك: اني موافق على إيرل هانتينغدون، كزوج كفؤ لابنتي ماريان. وارفض رفضاً قاطعاً زواج إبنتي من روبن هود، الخائن والخارج على القانون!

قال الأخ مايكل:

ــ سيغفر له الملك ريتشارد. إن الملك ريتشارد، «قلب الأسد» هو ملك نبيل وغفور كذلك فيتزوث، هو أمير نبيل ووفي.

على الفور، قال السير «غِيْ» معترضاً:

ــ لا يمكن أن يغفر له الملك. لقد قتل اتباع الملك وتمرَّد عليَّ بكل اوامر الشريف.

وبدت علائم الغضب واضحةً على قسمات وجه اللورد فيتزوالتِر، وازداد غضبه جدةً عندما رأى ابنته الوحيدة وهي تدنو منه وهي ترتدي ثوب الصيد وتمسك بيدها القوس وتضع على خاصرتها مجموعة من السهام المسنونة.

التفتَ أليها وصاح مزمجراً:

ــ ما هذا ايتها الفتاة الحمقاء؟! إلى أين أنتِ ذاهبة؟!

قالت ماريان بهدوء:

ــ الى الغابة الخضراء.

قال اللورد فيتزوالتر:

ــ هذا تصرُّف لا يليق بك.

قالت ماريان بنبرة حادة:

ــ لكني ذاهبة الآن، على الفور.

اجاب الوالد:

ـ سأرفع الجسر المتحرك.

ـ ولكن.. سأجتاز الخُندق المائي سباحةً.

ـ سأقفل المدخل والمخرج.

ـ ولكني سأقفز من الشرفة المُفرَّجة.

ـ سأسجنكَ داخِلَ الغرفة العُلْوية.

ـ لكني سأمزِّق طولياً النسيجَ المزخرف وأهرب من النافذة.

ـ سأسجُنكِ داخِلَ البُرَيج، حيثُ لا تُشاهدينَ النورَ إلَّا من خلالِ فَتْحَةِ الرَّمْي الصغيرة.

ـ لكني سأجد طريقةً ما للفرار. ولن اتراجع يا والدي عن قراري. اني احب روبن هود وسأفعل المستحيل كي أصل إليه. لا تهمني الألقاب والثروات والقصور، كل ما أتمناه هو لقاء فارس أحلامي ونصير اليتامى والفقراء: روبن هود!

إبتسم الأخ مايكل ابتسامةَ الرضى وقال باعتزاز:

البريج: تصغير برج

ـ هذا كلام صائب كل الصواب أيتها اللادي الشجاعة.

زمجر اللورد فيتزوالتر:

ـ هذا كلام سخيف وأحمق ايها الأخ الفاضل! هيا، اخرج من قصري على الفور. انتَ متضامنٌ سراً مع الخائنِ روبن هُودْ. هذا أمرٌ واضحٌ كلَّ الوضوح. وإن عِدْتَ إلى قصري مرةً أُخرى، كانت المشنقةُ نصيبَكَ الأوحد!.. وسيان عندي، كنتَ راهباً أو لم تَكُنْ!

أجاب الأخ مايكل بهدوء:

ـ حسناً.. إني ذاهبٌ. إني راحلٌ على الفور. لا داعي لكلِّ هذا الغَضب. أعرفُ صومعةً بجوار النهر، حيثُ أَتخذُ منه مَسكناً لي.

وخرجَ الأخُ مايكِلْ مِن القَصر غيرَ آسِفٍ، لأنهُ سيعيشُ بعدَ قليلٍ حراً كالطير، بين أحضانِ الطبيعةِ الساحرة، وسيجدُ السعادةَ الحقيقيةَ برفقةِ رفاقِ روبنْ هُودْ الشجعان، الذينَ يجهلونَ الحقدَ والشرَ والإنتقام، بل يُحبون بعضَهم بعضاً ويُساعدون الناسَ بجميعِ

صومعة: غرفة صغيرة او كوخ بعيدعن الناس

الوسائِل ويتَحدَّون الحاكمَ الطاغي ولا يَهابون قوانينه الـزائفةَ وقوَّتَه العابرة.

وبعد رحيل الأخ مايكل، حدَّث والد ماريان نفسه:

ـ يا له من راهب أحمق وطائش! ثم التفت الى ابنته الحائرة وقال:

ـ والآن، جاء دورك ايتها الفتاة الحمقاء!

قال السير «غيْ»:

ـ أفضل حَلٍّ هو اجبارها على الزواج من الرجل الذي تختاره انت بنفسك.

هزَّ اللورد الغاضب رأسه علامة الموافقة قائلاً:

ـ اجل، انها بحاجة إلى زوج.. وسأختاره انا بنفسي ولا أحد سواي. سأختار لها فارساً معترفاً بها من قبل السلطة الملكية، لا فارساً زائفاً مثل روبن هود.. سأختار لها فارساً صاحب الأراضي الشاسعة والثروات الطائلة وبالاخص حليفاً مخلصاً للأمير جون!

قالت ماريان بنبرة حادة:

ـ لن اتزوج الرجل الذي تختاره انت يا والدي. لقد وقع اختياري سلفاً: لن اقبل زوجاً لي سوى الفارس الشجاع والنبيل الأبيّ: روبن هود!

صرخ الوالد مزمجراً:

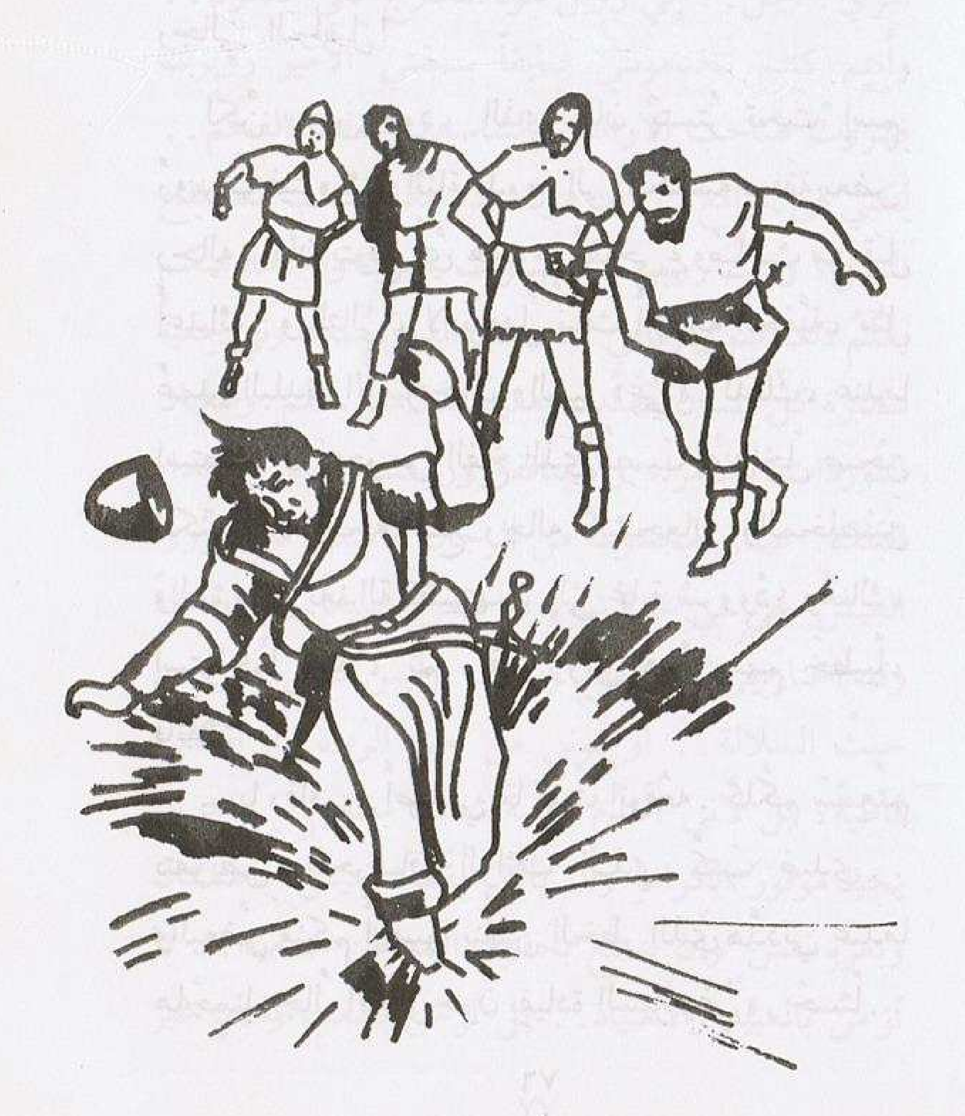
ـ سأسجنك في الزنزانة ايتها الفتاة الطائشة.. وسيكون طعامك مقتصراً على الخبز والماء.. فقط!

قالت ماريان مبتسمة:

ـ سيهجم روبن هود على قصرك وسينقذني من سجنك السخيف. ثم، فارقت الابتسامة شفتيها وقالت له بنبرة جادة:

ـ يا والدي العزيز، هل تسمح لي بالذهاب الى الغابة الخضراء؟ اعدك بأني سأرجع في القريب العاجل. واعدك بأني سأظل صديقة لروبن هود إلى أن تسمح لي انت بالزواج منه.. أو الى ان يعود الملك ريتشارد ويعطينا بركة الزواج!

وبسُرعَةٍ، دنَتْ مِن والدِها اللورد، وطبعت قُبلةً



خاطفَةً على خدِّه، ولم تأْبَه لحضورِ السير «غِيْ» الذي يَغلي كالمِرْجَل ويَتمنى لو نظرةً واحدةً من عينيها الجَميلتين الساحِرَتين. . وانطلقَتْ كالغزال فَرِحَةً مُتفائِلَةً إلى غابَةِ شِرْوود، القوسُ بيدِها والسهامُ على خاصرتِها. . بحثاً عن فارسِ أحلامِها: روبِنْ هودْ!

والتفتَ اللورد إلى السيد «غِيْ» وقالَ بنبرَةٍ بائسةٍ:

ــ والآن، جاءَ دورُكَ للقبضِ على هذا الرَجلِ الخارجِ على القانون. . عندما تَقبِضُ عليه، علِّقْه على أعلى مشنقةٍ في «نُوتِينْغهمشايرْ». . وإلاَّ لن تَستطيعَ إقناعَ إبنتي للزواج منكَ، ما دامَ هذا الثائرُ الوغدُ، حيّاً يُرزق!

إنتصبَ السير «غي» واقفاً وانحنى قليلاً علامةَ الإحترام لمُضيفِه، قائلاً:

ــ أيُها اللورد العزيز، إني الآن ذاهبٌ إلى «لُوكْسلايْ هُولْ». سأطلبُ من الشَريف مُحاصرةَ الغابة حيثُ يَسكنُ روبِنْ هُودْ ورجالُه الخونة. . هكذا، سيُقبَضُ على كلِّ شخصٍ يَدخلُ إليه أو يَخرجُ مِن وِكْرِه

اللَعين. . وسيَنتظرني أتباعي الأوفياء في الدير. وعندما أصِلُ إلى الدير، تأكَّد أيها اللورد العزيز. بأني سألتقي هُناك روبِنْ هُودْ، أسيراً كالأرنب المُرتجِف، بين أيدي رجالي البَواسِل!

لكنَّ روبن هود، الذي كانَ يَتسترُ تحتَ إسمِ رُوبرتْ فيتزوث، أثناءَ قدومِه إلى الكنيسة برِفقَة بعضِ رجالِه، كانَ يتوقعُ أيَّ هجومٍ مُفاجىءٍ ومُباغث من قِبَل أعدائِه. وبالتالي، لا يَجهلُ نياتِ أعدائه الخفيَّة، مثل عُمدة البلدة والأمير جون والسير «غِيْ». لذلك، عندما استطاعَ أن يَنجوَ من الفخ الذي نُصِبَ له داخِلَ صَحنِ الكنيسة، إتجهَ مع رجاله الشجعان والمخلصين والمؤمنين بعدالةِ قَضيتِهم، إلى غابةِ شِرْوود؛ وهُناك، إستراحوا قليلاً، ثُم وقفَ روبِن هُودْ بينهم خَطيباً، قائلاً:

ــ يا رِفاقي، أصابنَي ما كنتُ أتوقعُه. كلكُم سَمِعتُم بتفويضِ الحرمان الزائف الذي كُتِبَ ضدي. . والبعضُ منكم أحَسُّوا بنفس الخطر الذي هدَّدني عندما هاجَمنا رجالُ الأمير جون بقِيادة السير «غِيْ». حَسناً. .

الآن، أهبُكم الحريةَ المطلقة. . حريةَ الإختيار بإمكانكم الرجوع إلى منازلكم بعد أن علمتُم حقيقةَ أمري. أجل. . إني روبن هود الخارج على القانون. . وأنتم كنتم تَخدِمونني سابقاً بصفتي الأمير روبرتْ فيتزوثْ صاحب الأراضي الشاسعة والقصر الفخم. . لكني في الواقع، روبن هود، إبن هذا الشعب المكافح النبيل؛ وكنتُ روبن هود لسَنوات عديدة ولا أحد منكم يَعْلَمُ ذلك سِوى رفاقي الشجعان الذينَ يُساعدونني خِفيةً لنَصرةِ كلِّ إنسان مُعذَّب ومُقيَّد بسَلاسل ظلمٍ وطُغيانِ اللُوردات والأمراء والأساقفة ورؤساء الدير وعُمداء البَلْدَة. عندي مَجموعةٌ من الرجال الأشداء قد قرَّروا العيشَ معي في غابة شِرْوودْ: نحنُ جميعاً رفاقٌ وأخوةٌ وقد اختاروني قائداً لهم وملكاً. . ليس كوني أميراً من حيثُ السلالة. . أو كوني من أمهر الرُماة في إنكلترا قاطِبةً؛ بل لأني أخدُم قضيةَ شعبٍ مظلومٍ، يُريد أن يحيا موفورَ الكرامةِ وأن يأكُلَ لُقْمَةَ العيشِ باطمئنانٍ وبعزةِ نفسٍ وأن يتمتَّع بحقوق المواطن السعيد. . لا أؤمنُ بالعبيدِ والأسياد. . بل اؤمنُ بشعبٍ واحدٍ غير

منقسم وبمساواةٍ بين جميع المواطنين. كلُنا أخوةٌ ورفاقٌ متساوونَ أمامَ القانون.

نحن أحرار أيها الرفاق لأننا نؤمن بالمساواةِ بين جميع المواطنين ولا نؤمنُ بالتَقسيم السَخيف بين نورمانديين وساكسونيين. إن الانسانَ يُولد حراً ومع ذلك فإنه مُكبَّلٌ بأغلالِه في كلِّ مكان. فكيف حدَثَ مثلُ هذا التغيير؟

وبعد، ليسَ الرجل «النبيل» من يملكُ الأراضي والثروات والعبيدَ ويأكلُ أموالَ اليَتامى والفُقراء ويَستثمر الإنسانَ بشكل بغيض. إن الرجلَ النبيلَ هو الذي يهبُ نفسَه لنَصرةِ الضعيفِ لا لحماية القوي المُستبدِ برقاب العباد!

لم يَقتصر الجَمعُ على بعض رجاله الذين تَبعوهُ بعد معركةِ «دير الينابيع»، بل تهافتتْ إليه الأُمهاتُ الثَكلى بأزواجهن الذينَ قُتلوا بلا ذنبٍ على أيدي أنصار الأمير جون الطاغي.. وتهافتَ الأولادُ والاطفالُ اليَتامى والفقراءُ والمغنُون المتجولون والصيّادون والحدادون

والدّباغون... باختصار، تهافتَ إليه كلُّ إنسانٍ مُضطهد ومُستثمَر. كلُّ انسانٍ جعلَهُ سيدُه عَبداً بالقوة وحوَّلَه رغم أنفه إلى حَيوانٍ يَطيعُ صاحبَه ولا يجسُر على رفع رأسه قيدَ أنملة وإلا أفقدته العَصا وعيه واستقبلَه التشريدُ والحرمانُ بعد طردِه من تحت سقف سيِّده

لذلك قال لهم روبن هود مؤكداً:

ـ نحن لسنا عبيداً لأحد. وان لم أُعَد روبرت فيتزوثْ، أمير«هانتينغدون»، بل أصبحتُ المواطنَ العادي، طريدَ العدالة الزائفة، أصبحتُ هذا الإنسان الرفيق المعروف باسم: روبن هود. إختارني رفاقي في شرْوودْ قائداً لهم وسأكون وفياً لهذا المنصب الرفيع ولن أَخذلكم أبداً. سأهتم أولاً بأتباعي جَميعاً وسأجعلُ نصْبَ عينيَّ دائماً وبكل إصرار: العدالة الحقيقية والتسامح والرأفة وحب الله خالق الاكوان ونصير المظلومين.

وعندما يَرجعُ الملك ريتشارد من فلسطين، سيَضعُ حداً فاصلاً لهذا الحاكم الشرير وهذا الرعب المنتشر في نفوسِ المواطنين الآمنين.. عندها، سيُعاملُنا

الملكُ ريتشارد العادل، كمواطنين أحرار، متساووينَ في الحقوق والواجبات؛ ولا يُعاملونا كما هو الشأن مع الحاكم الطاغي الأمير جون، عبيداً أذلاً ومُشردين مشتاقين إلى غَيْثِ الرَحمةِ والعدالة.

الناس جميعاً شركاء في الماءِ والنارِ والكلأ ولا يحق لأحد أن يغتصب منا أرضنا وحقّنا في العيش وفي الحرية.

إن الحاكم جون المغتصِب، هو أتعس مخلوقٍ في الدنيا.. إذْ أشقى الولاة من شَقِيَتْ به رعيتُه!

صمتَ قليلاً ثم قال:

ـ إختاروا الآن، هل تتبعوني الى غابة شِرْوود أم تفضلون الرجوعَ الى منازل أسيادكم، لتعيشوا عبيداً لهم. أو البقاءَ معنا، والعيشَ بكل اخلاص وبدون إرتكاب أية خيانة حمقاء!؟

خيَّم شبحُ الصمتِ والذهول فترةً وجيزةً على الجمع، وبصوتٍ واحد، دوّى الجميعُ بحماسٍ مُدهشٍ ومؤثرٍ للغاية:

ـ كلُّنا سنعيشُ أوفياءَ ومُحاربين لأجل قضيةِ الشعب الإنكليزي الواحِد.. لأجل روبن هود، فارس الحق والعدالة، نَصير الفقير والشريد. عاش روبن هود. عاش الشعب.

واندفعت امرأةٌ فقيرة بائسة والدمعُ ينهمر من مُقلتيها وتحمِلُ طفلَها الرضيعَ بين ذراعيها، صارخةً:

ـ هذا طفلي الرضيعُ أُقدِّمُه لكَ فِدْيَةً للثورةِ العادلة.. حماكَ الله يا روبن هود مِن الخوَنة وعُملاء الأمير جون الحاكم الظالم!

ثم ابتعدتْ قليلاً ومسَحتْ دموعهَا بكمِّها البالي العتيق وقالتْ باكيةً بصوتٍ متقطعٍ كأنها تحدِّثُ نفسها:
لولاك، لمات طفلي جوعاً، كما ماتَ والدهُ المزارعُ الفقير.. قبل ولادته بيومٍ واحد!»

ورفعَ الرجالُ العشرون اليدَ عالياً وصاحوا بصوتٍ واحد:
ـ قَسماً بمبادىء روبن هود الشريفة السامية، لن

نتراجعَ عن القتال ما دُمنا أحياء!

عندئذ قال لهم روبن هود:

ــ الآن، هيَّا بنا يا رفاقي الأعزاء إلى بيتِكم الجديد.. في غابة شِرْوود حيثُ تلتقون رفاقاً لكم أوفياءَ أشداء.. يؤمنون مثلكم بعودة الحاكِم العادل إلى البلاد وبعودةِ الصَفاء والرَخاء والسعادة إلى الشعب الإنكليزي برمتِه بدون تَمييزٍ بين عَبيدٍ وأسياد. يجتمعُ شمْلُنا برعاية الله وتحتَ شعارٍ جامعٍ: وطنٌ واحدٌ وشعبٌ واحدٌ.

* * *

إنقاذ ويلْ سْكارلِتْ

«الجبناءُ قساةُ القلوب، أما الشُجعان فقلوبُهم مملوءةٌ بالرحمةِ وتيسرهم أن يُقدِموا على إنقاذ الغَير.»

* * *

وفي اليومِ التالي، في الصباحِ الباكر، أرسلَ روبنْ

هودْ، ويلْ سكارلِتْ وماتشْ وهو إبنُ الطَّحان القتيل - إلى لوكْسلايْ هُولْ. وسكارلِتْ رجلٌ ماهرٌ في استخدامِ القوسِ والنشَّاب وماهرٌ أيضاً في اختيار الطرق الخفيَّة التي لا يعرفُها إلاَّ العددُ القليلُ جداً من الناس. ولمّا وصلا إلى المكان المنشود، شاهدا القصرَ من مسافةٍ قريبةٍ، شامخاً كأنه يَتحدَّى هُجومَ الأعداءَ في كلِّ لحظةٍ. وكانتْ أشعةُ الشمسِ الصباحيةُ، تنعكسُ وهَّاجةً على أسلحةِ أتباعِ الشريفِ الذينَ يُحيطونَ بالقصر ويَحرسونَه، ليلاً نَهاراً. ولاحظَ وجودَ جمعٍ غفيرٍ من المزارعين الفقراء الذينَ يَعملون لصاحب القصر بإخلاصٍ تامٍ ويُعامَلونَ كالبهائم تماما؛ وابتسمَ سكارلِتْ عندما شاهدَ بعضَ المزارعين الفقـراء، واتضحَ له بأنهم رفاقُ الأمسِ، إذْ كانوا يَعملون قبلاً لحساب عائلةِ فيتْزوثْ.

قال سكارلِتْ للغُلام «ماتش»:

ــ أعتقدُ بأني أستطيعُ تدبيرَ الأمر الآن، لقد خطَرتْ ببالي فكرةُ: لماذا لا أمتزج بهؤلاءَ الأشخاص.

وحاولَ ماتشْ أنْ يتبعه، بل قالَ له بصوتٍ خافت:

ـ أنتَ . . إنتظرْ هُنا. سيُقْبَض عليكَ إذا ما رآكَ أيُّ رجلٍ من رجالِ الشَّريف. غطَّى رأسَهُ وقسماً من وجههِ بالغطاءِ الواقي للرأس، ثم اتجهَ لوحده وعلى مهلٍ، بعيداً عن أشجار الغابة. أدَّى التحيةَ لأَحدِ الحرَّاس، وردَّ الآخر التحيةَ بأَحسن منها، ولم يَخطر ببالِه بأن هذا الشخصَ القادمَ إنما هو ويلْ سكارلِتْ، أحدُ رجال روبن هود. . بل اعتقدَ بأنه يخصُّ أتباعَ الشريفِ أو الأمير جون. وتابعَ سَيْرَه إلى أن التقى صديقاً له؛ إذ كانا يخدمان سوياً في هذا القصر الذي يَخصُّ آلَ فيتزوثْ، وقال له:

ـ ماذا يجري في داخلِ القصر؟

أجابَ الصديقُ العجوزُ:

ـ أنصحكَ بعدم الدخول. لأن الشريفَ موجودٌ الآن في الداخلِ مع رجاله، ويُناقش موضوعَ تسليمَ مُمتلكاتِ آل فيتزوث مع هذا القصر بالذات إلى السير «غِيْ» هزَّ سكارلِتْ رأسَه علامةَ عدم الموافقة وقال:

ـ يجب أنْ أَصِلَ إلى غرفتي الصغيرة. إنه أمرٌ ضَروريٌ جداً.

وتابعَ سيرَه نحو ممر عشبيٍ ضيِّقٍ، يُؤَدي إلى غرفتهِ الصغيرة. وبسرعة، تناولَ مِفتاحاً نُحاسياً كبيراً من جيبه وفتح البابَ الخشبيَ ودخلَ وحملَ حقيبتين من الجلد، كانتا موجودتين داخلَ صندوق خشبي. حقيبةٌ صغيرةٌ وحقيبةٌ كبيرةٌ. وأفرغ مجموعةً من الثياب داخلَ صُرَّةٍ كبيرة. ثم أَقفل البابَ وخرجَ على مهلٍ وبهدوء، تماما كما جاء. ولحسن حظه، لم يجد أَحداً أمامه، أثناءَ خروجِه من غرفتِه الصغيرة. إذْ من المُحتمل جداً، أن يوجد حارسٌ يومي، قربَ الباب. ولكن لم يُصادِفْ أحداً. . حتى هذه اللحظة. إبتسم مُغتبطاً وحدَّثَ نفسَه: «وليس أَمامي الآن إلا الهربَ بأَقصى سُرعةٍ مُمكنةٍ وبدون أن يراني أَحد».

واتجهَ مُسرعاً نحو الغابة، حيثُ يَنتظرهُ الغلامُ «ماتشْ» مع جواده. وما كادَ يَجتازُ الممَّرَ العشبيَ الذي يؤَدي إلى الغابة الخَضراء، حتى فوجيءَ بالسير «غِيْ»

القادم مع أَتباعِه المحاربين، من «دير الينابيع».

يالسوء حظه. كاد أن ينجو بجلده، لولا هذه الصُدفة اللعينة. ما العَمل؟ إرتبك «ويل سكارلتْ» أشدَّ الإرتباك. وقف في مكانِه مَبهوتاً، حائراً. وبادرَهُ السير «غِيْ» قائلاً بسُخريةٍ وهو يَمتطي حِصانَه الأَبيض:

ـ ها ها! ماذا أرى هُنا!؟ يا لَلعجب! قال سكارلت بتواضعٍ ظاهر، وقد تمالك نفسه:

ـ عفوكَ يا سيدي.. كنتُ خادماً في هذا القصر، لمدة عشرينَ سَنة والآن وقد أَصبحَ سيدي صاحب القصر خارجاً على القانون، لم أَجد أَمامي سوى تركِ القصر للبحثِ بعيداً عن لُقمة العيش.

قال السير «غِيْ»:

ـ حسناً، يَبدو بأنك لا تَرغبُ البقاءَ هنا لخدمة سيِّدك الجديد.

سألهُ بنَبرةٍ ساذجة:

ـ حضرتك أيها اللورد؟.. حضرتك السيد الجديد

صاحب قصر آل فيتزوث؟

أجابَ اللورد باعتزازٍ:

ـ تماماً. أنا السيِّدُ الجديد. لكني لَن أُجبرَكَ على البَقاءِ هُنا، رغم إرادتك. صَمتَ قليلاً ثم قال بعد أن أَلقى نظرةً فاحِصةً على الصُرَّة الكبيرة:

ـ لا شيء أَكثر من حوائجي المُتواضعة.. مجموعة من الثياب القديمة. وتوجد في جيبي أَربع قِطَع ذَهبية من النُوبِل.. هذا كلُّ ما ادخرتُه طيلة العشرينَ سَنةً التي عِشْتُها خادماً في هذا القصر.. وسيكونُ هذا المبلغُ مُعيناً لي، عند شَيخوختي.

صاح السير «غِيْ»:

ـ هيّا! هيّا! إرحَلْ مِن هُنا واعلَمْ بأني لا أُحاربُ أتباعَه الذين كانوا يخدمونه تحت إسم «روبـرتْ فيتزوثْ»، لكني أُحارب بدونِ رحمةٍ الذينَ يُناصِرونه الآن تحتَ إسمِ الرَجُل الخائِن: روبِنْ هُودْ!

ماذا تنتَظر؟ هيَّا، إرحَلْ!

قال سكارلِت:

ـ شُكراً أيها اللورد.

ورفَع صُرَّته على كَتِفه واتجَه بعيداً نحو مَجموعة من الشُجيرات الخفيفة حيثُ يختبىء وراءَها الغُلامُ «ماتش» ولكن، لم يكَدْ يَبتعدُ بِضعَ خطَواتٍ، حتى رآه من بَعيدٍ «وُرمان» وهو يَخرجُ من القصر. رآهُ وهو يحملُ صرَّةً على كتفِه، فاستغربَ للأمر، وصاحَ بأعلى صوته:

ـ أوقِفوا ذلكَ الرجلَ! لماذا لم تُفتشوا الصُرَّةَ إطلاقاً! ثم، لماذا لم يَدفع قيمةَ الضريبة المتوجبة عليه. أوقفوه حالاً!

قال السير «غِيْ»:

ـ أنتَ مُخطىءٌ بخصوص هذا الشخص. فهذه الأَغراضُ ملكُه الخاص. إننا نُصادِرُ فقط مُمتلكاتِ «الإيرل روبِرتْ». أليس كذلك؟

صاح وُرمان بحماسٍ زائد:

ـ لا بَل قُلْ، ممتلكات الخائن روبِنْ هُودْ! ومن قالَ لكَ بأنَّ هذا الخادم الوغد، قد سرقَ بينَ طيَّاتِ حوائجه، صَندوقاً مَليئاً بالذَهب؟

عِندها، قال السير «غي».

ـ الآنَ، تغيَّرَ الأمرُ.

ثم التفتَ إلى رجالِه وقالَ بنَبرةٍ آمِرةٍ:

ـ إلحقوا هذا الرجلَ واقبضوا عليه. واستطاعَ سكارلتْ، أثناءَ هذا الوقتِ الوجيز، أن يصلَ إلى المكانِ القريب من الغُلام «ماتشْ». . وكان قد سَمِعَ ما دارَ من حديثٍ بين السير غي والسيد «وُرْمانْ» المتعطش الى البَطْشِ بسيدِه روبِنْ هُودْ بأي شكلٍ من الأشكالِ وبأسرع وقتٍ مُمكن.

لذلك، تصَرَّفَ بسرعةٍ خاطفةٍ، قبل أن يوجِّه الأمرَ لأتباعِه للقبض عليه. فوضعَ الصُرَّةَ أرضاً ثم مزَّقَها بيديه وأخرجَ منها الحقيبةَ الجلديةَ الصغيرة، التي تحتوي على المالِ والجواهر. وقال لماتشْ موشوِشاً:

ـ سلِّم هذه الحقيبةَ الصغيرةَ لروبن هود. هيَّا، بسرعة. لقد اكتشفَ أمري الأعداءُ لا أمل لي في النَجاة. «وُرْمانْ» سيتعرَّف عليَّ بسهولهة هيَّا اركضْ قبل أن يَراكَ أحدٌ.

ولكن، خطرتْ ببالِه فكرةٌ طارئةٌ وهو يَربطُ الصُرَّةَ من جديد:

ـ لا وقتَ للفرار. هُنا! إرْمِها في حُفرةِ الشَجرة. ومهما حدَث، إلزم الصمتَ واحفظ السر.

وبخفةٍ ورشاقةٍ، تسلَّقَ «ماتشْ» على جذع الشجرة الضخمة، ورمى الحقيبةَ الصغيرةَ داخِلَ حُفرةِ الشَجرة. بينَما تابعَ سكارلِتْ سَيْرَه نحو الغابة الخضراء... كأنه شيئاً لم يَكُنْ!

في هذه الأثناء، سَمِعَ صوتاً يُناديه من بَعيدٍ:

ـ أنتَ هُناك!.. قِفْ مكانَك! قِفْ!

توقَّف سكارلِتْ على الفور، إلتفتَ إليهم وقال:

ـ ماذا تُريدون مني أيها السادة؟

قال أحدُهم:

ـ يودُّ السير «غِيْ» التحدُّثَ معك.

وعادَ سكارلِتْ بصُحبةِ الفارسين، مطأطىءَ الرأس، مُرتَبِكاً. ولمَّا وصلوا قربَ القصر، إقتربَ منهم السير «غِيْ» وإلى جانبه، وُرمان، الذي يَعْرِفُ الأسيرَ حقَّ المعرفة. رفعَ بصرَه إلى اللورد وقالَ له مُتسائلاً بنبرةٍ ساذجةٍ:

ـ ماذا تُريدُ مني أيها اللورد؟

وجَّه السؤالَ إليه وما زالَ الغطاءُ الواقي يَستُر قِسماً كبيراً من وجهه خوفاً من أن يكتشفَ أمرَه ورمانْ. قال السير «غِيْ» آمِراً وباختصار:

ـ فتِّشوا هذه الصُرَّة وفتِّشوا أمتعته.

قال سكارلِتْ مُعترضاً:

ـ لا يوجدُ في هذه الصُرَّة سوى ثيابي والمَزْرودة وحقيبة صغيرة حيثُ وضعتُ فيها مالي الموفَّر: عشر قِطَعٍ نَقْدية من النُوبِل، التي ادخرتُها طيلة عِشرينَ سنة وأكثر.

المزرودة: كيس من قماش (حقيبة)

قال السير غِيْ:

ـ إذا نطقتَ الحقَ، لن يُصيبَك أيُّ مَكروهٍ.

قال أحدُ الرجال، الذي كُلِّفَ بتفتيش صُرَّتِه، بعد أن بَسط ونَثر كلَّ الأغراضِ المختلفة على الأرض:

ـ هذا صحيحٌ أيُها اللورد.. لا شيءَ سوى الثياب القديمة البالية.. بالإضافة إلى هذا الدِرْع.

قال وُرمان مُعترضاً:

ـ أجل، لا يُوجد شيء هام. ولكن، ماذا يَضعُ هذا المحتالُ تحتَ معطفِه الفضفاض. وبسرعةٍ خاطفةٍ، مدَّ وُرمانْ يدَه، وسحبَ المعطفَ والغطاءَ الواقيَ في آنٍ واحد. عندها، مدَّ سكارلِتْ يدَه، حامِلاً الكيسَ الصغيرَ قائلاً:

ـ لا أملكُ سوى عشر قِطع نقديَة من النوبل.

ولكن، رأى وُرمانْ وجهه. يا لَلدَهشة! صاحَ مُسْتَغْرباً:

ـ هذا ويلْ سكارلِتْ! أَقْبُضْ عليه. إنه خائن!

بإمكانِه أن يقودَنا إلى رئيس الخونة: روبن هود!

حاولَ سكارلِتْ أن يَسْتَلَّ خنجرَه الحادَّ من زناره، لكن رجالَ السير «غِيْ» احتاطوا به، وأمسكَ ذراعيه رَجُلان قويان فاستحالَ عليه القيامَ بعدَ ذاك بأيةِ حركة.

إستشاطَ السير «غي» غَضباً، وصاحَ مُزَمجراً:

ـ ارموا به، من أعلى الحُصنِ.

لكن وُرمانْ اعترضَ على الفور:

ـ مهلاً أيها اللورد. سَلِّمْهُ للشَريفِ. سيقتادُه إلى نُوتينْغهامْ. دَعْهُ يَشنقهُ هُناك، في ساحَةِ السوق كعِبرَةٍ لكلِّ خائن وبالأخص لكلِّ شخصٍ يُحاول أن يلتحق بجماعةِ روبن هُودْ أو أن يحميه. ولكن، قبل تنفيذِ حُكْمِ الإعدام شَنْقاً، لِنُقنَعه كي يُرشدَنا إلى مخبأ سَيِّده الخائنِ روبنْ هُودْ. ويُمكن زَجُّه في الزنزانة، وبواسطةِ قضبانِ الحديد المَحمية على النار، نَحصل منهُ على المعلوماتِ المَنشودة.. هذا إذا كان عَنيداً!

قال ويلْ سكارلِتْ بجرأة.



ـ لستُ خائناً. أما أنتَ أيها الوكيل المسئول عن تدبير القصر، أيها المخادع، الذي يَسْمَنُ بفضل لُطفِ معاملةِ سيِّده روبن هود ثُم يخونُه مع أعدائِه.. إحذر اليوم الذي تنزلُ عليكَ لعنةُ الإنتقام.. أمَّا قضبانُ الحديد والمِخْلَعةُ وسواها من أدواتِ التعذيب، فلن تُفيدَكَ شيئاً على الإطلاق، لن أقولَ لكَ سوى ذلك: إن روبنْ هُودْ يَطوفُ ويتجوَّلُ في غابَةِ شِرْوودْ.

واقتيدَ سكارلِتْ إلى مَركز الشَريف ونُقِل بعدَها، إلى نُوتِينْغهامْ، وزُجَّ به في زنزانةٍ مُظلمةٍ.

أما «ماتشْ»، إبنُ الطحَّان، فقد ضيَّع طريقَه مراتٍ عديدة وهو يجتازُ الممرات الضيِّقة والملتوية في قلب الغابة الكثيفة. ولم يَصِلْ إلى الفُرجة المجاورة لشجرةٍ كبيرة إلَّا بعدَ الظُهر. وسردَ الحكايَةَ لروبن هودْ من أَلِفها حتى يائِها، بعد أن أعطاهُ الكيسَ الجلدي المليءَ بالذهب والمجوهراتِ حيثُ جازفَ سكارلِتْ بحياته للحصولِ عليها. وعندما سَمِعَ روبن هود خبرَ اعتقال رفيقِه المخلص سكارلِتْ، حَزِنَ كثيراً؛ صاحَ بنبرةٍ مؤثِّرة:

ــ يجب إنقاذُه حالاً! وإلاَّ، فضَّلتُ الموتَ معه، على العيشِ بدونه!

وفي هذه الأثناء، تعالتْ صيحاتُ أتباع روبن هود:

ــ هيَّا ننقذُ سكارلِت! النجدة! النجدة! هيّا نزحفُ إلى نُوتينغهامْ ونَستولي على الساحةِ بالقوة ونَشنقُ الشريفَ على مشنقتِه بالذات وإلى جانبه الخائنُ وُرمان!

قالَ روبين هود، بعد أن قفزَ بخفةٍ ورشاقةٍ على صخرةٍ مجاورةٍ للشجرة المُورقة الضخمةِ وهو يحملُ كعادتِه القوسَ والنشَّابَ:

ــ أجل، إني أرغبُ من صميم قلبي، شنقَ الخائن «وُرمان»! أمَّا الشريفُ، فهوَ شخصٌ جبانٌ وضعيفٌ، لا يُلبِّي سوى أوامر سيده الحاكم المُغتصِب الأمير جون! واعلموا بأن الهجومَ العشوائيَ لا يَفيدُ شيئاً والتصرُّفَ عند الغَضب والإنفعالِ العاطفي يُزيدُ الطينَ بَلَّة. بالتروي نَصِلُ إلى غايتِنا المنشودة. إذْ عند أولِ إشارةٍ خفيَّةٍ، أثناء الهجوم، يَنتشر رجالُ الشريف داخلَ القصر

العشوائي: الغير منظم

ويَشنقون ويلْ سكارلِتْ أمام أعيننا ويَسخرون منا ونحنُ نحيط بالحصن وليس باليَدِ حيلة! كلا، كلا.. القوةُ العمياء لا تُفيده إطلاقاً والتسرُّع يَضره حتماً. أفضل طريقة هو اللجوءُ إلى المكر والخداع.

والتفتَ روبنْ هودْ إلى أحد رجالِه الشجعان مُشيراً إليه بسهمِه وقالَ بصوتٍ عالٍ:

ــ أنتَ هُناك أيها الرفيق ويليام: لقد خدمتَ الشريفَ مرةً، هذا يَعني بأنك تَعرفُ أموراً كثيرةً وعدةَ اشخاص... السّجان والشّماس والجلّاد والشانق.. إقتربْ مني.

* * *

واتفقا على خطةٍ مُعيَّنة. وعند الغروبِ، رحلَ ويليام إلى نوتينغهامْ وقد تنكَّر في ثيابٍ خاصة، إذْ ارتدى الجَرْكينة الجلدية الخشنةَ والغطاءَ الواقيَ للرأسِ والبنطلونَ الضيقَ المُبتذَل. كلُّ ذلك لإظهار ويليام كمحاربٍ قادمٍ من ساحاتِ الحروب ويتجوَّل في البلاد باحثاً عن مهنةٍ، لِكَسْبِ لُقمة العَيْش!

وفي الصباحِ التالي، عند بُزوغِ أَشعةِ الفجر، انطلقَ روبن هود ممتطياً حصانَه، مع أفضل رجالِه الذين اختارَهم من الشُبَّان المُدركين الأقوياء؛ وكلُّ واحدٍ منهم، مزوَّدٌ بالسيف والقوس والسهامِ، ويرَتدي العباءةَ التي تَخفي عن الأبصار الثوبَ اللَّنكوني الأخضر، بينما يرتدي روبن هود كعادتِه العباءةَ الحمراء، الخمريةَ اللون والبنطلونَ الضيِّقَ الأخضر الغامِق.

إتجه روبن هودْ مع رجاله إلى مكانٍ بعيدٍ عن المخبأ. قبل أن يتابع سيرَه، فضَّل إرسالَ أحد المحاربين متنكراً إلى ساحة السوق ليزوده بالأخبار المتعلقة باعتقال ويل سكارلِتْ.

وبعد فترة وجيزة، رجع الرسول الى روبن هود وبصحبته حاج متجوِّل، وقد زار قبلاً الأراضي المقدسة، يرتدي المعطف الفضفاض والغطاء الواقي للرأس والوجهِ؛ وهذا الزي مُنتشرٌ عادةً بين الحُجَّاجِ المتجوِّلين.

قال لهُ روبن هود بنبرةٍ لطيفة:

ـ قُلْ لي أيها الحاج الصالح، هل تعلم متى وأين سيُشنَق ويلْ سكارلِتْ؟ أجابَ الحاجُ من غير أن يعلَم بأن مُحدثَّه هو روبن هود بذاته:

ـ أجل. إني اعلم. إنه لأمرٌ مؤسفٌ ومُحزنٌ حقاً. إقتادوه إلى ساحةِ السوق ليلةَ أمسِ. ويُقال بأنه أحدُ رجالِ روبنْ هودْ. وأنت تعلم بأن روبن هود هو فارسٌ نبيلٌ وإنساني، يَقضي حياتَه وهو يُساعِدُ الفقراءَ والمشردين ويَحميهم مِن ظُلمِ الأمير جون وأعوانِه الأشرار. إبتسم روبنِ هُودْ وسألَهُ باهتمام بالغ:

ـ متى سيتُم إعدامُه شنقاً؟

أجابَ الحاج المتجوِّل:

ـ اليوم، عند الظهر. من المفروض أن تُقامَ اليوم إحتفالاتُ راقصةُ بمناسبة شهر أيار، ولكن عِوضاً من نَصْب سارية نوّار سيَنصبون ـ ويا للأسف ـ المِشْنقةَ للقَضاءِ على ويلْ سكارلِتْ المسكين!

* * *

وانتشر خبر اعتقال سكارلِتْ بين أهالي نوتينغهامْ. فتجمهروا حول المشنقة، وكانت الساحة الخضراء مكتظةً بالناس مِن مُختلف الأعمار والطبقات؛

وعند الظهيرة، فُتحت الأبوابُ الخارجية للقصر، وخرجَ الشريفُ على رأس فرقةٍ مكوَّنة من عشرين رجلاً مع أسلحتِهم كاملةً.

وقرب المشنقة يقفُ رجلٌ طويلُ القامة، يرتدي لباسَ الحاج المتجوِّل القادم من الأراضي المقدَّسة؛ التفتَ الى رجل واقف بقربه، يبدو عليه مزارعاً، وقال له موشوشاً:

ـ لو يأتي أحدٌ ويخلص هذا المسكينَ من حبل المشنقة!

قال المزارعُ العجوز بدون تردُّد:

ـ حبَّذا لو يأتي روبن هود في اللحظةِ المناسبة. مسكين هذا الرجل؛ تركَ كلَّ شيءٍ وتبع روبن هود الفارسَ الشجاع. ولم يفعل شيئاً سوى تقديم الطعام والثياب للفقراء واليتامى المشردين. يا إلهي! هل مِن

العدلِ أن...

وحاولَ أن يرفعَ صوتَه بطريقةٍ لا واعية، فقاطعه الحاج المتجوِّل موشوشاً:

ـ هِسْ! احذر جواسيس الأمير جون، إنهم مُنتشرون في كلِّ مكان. ثم، إسمع جيداً. هذا صوتُ ويلْ سكارلِتْ. بالفعل، وجَّه الشريفُ كلاماً بصوت خافت لويلْ سكارلِت، لكن هذا الأخير، أجابَ بصوتٍ عالٍ وبنبرةٍ واضحة:

ـ أُدعى سكارلِت! ولستُ مثلَ وُرمان، الذي يَخونُ سيدَه الطيبَ والكريمَ لأجلِ رَشوةٍ دَنيئةٍ مثل طِباعِه. لا.. لن اقترفَ مثلَ هذه الخيانة ما حَييتُ! روبن هود موجودٌ في غابة شِرْوودْ. إذا شئتم التحدثَ معه، إذهبوا إلى هناك، وليس إلى مكان آخر... وهو بانتظاركم على أحر من الجمر.

ضَحِكَ عالياً، وحدَّث نفسَه:

ـ أرى رؤوسَكم الفارغة قد أينعت وقد حانَ قِطافُها. هيَّا، ما بالكم لا تتحركون. إنه بانتظارِكم في

غابةِ شِرْوودْ.

صرخ الشريفُ غاضِباً كالشيطان:

ـ إطمئنْ! سنبحثُ عنه في كلِّ مكان وعندما نعثرُ عليه، سنحرقُ عينيه.. وهكذا ستلمَّس طريقَه من لوكسلاي الى نُوتينغهامْ، كالأعمى التائه المسكين، ثم نشنقُه الى جانبِ عظامِك النتنة!

وانتشرتْ على الفور الهمساتُ وكلماتُ التذمُّر بينَ هذه الجماهير المحتشدة حول المشنقة. لذلك، أسرعَ الشريفُ بإعلانِ الحُكمِ قبلَ أن يفلتَ من يديه زمامُ المُبادرة، فقال:

ـ ويليام سكاتلوكْ أو سكارلِتْ، طريدُ العدالة وخائنُ، يَقضي القانونُ بإعدامك شنقاً من الرقبة، ثم تُترك معلقاً هنا، في نفسِ المكان، عِبرةً لكل الناس.

القى سكارلِتْ نظرة فاحصةً على الحَشدِ من الناس، وبدَتْ علائمُ اليأس والحزن واضحةً على قَسماتِ وجهه، إذْ لم يُلاحظ وجودَ أيةِ إشارةٍ تدلُ على إمكانية إنقاذِه عند الوقتِ المناسب عندها، إنهمرت

دمعةٌ سخيَّةٌ من مقلته وقال للشريف:

ـ أيها اللورد الشريف. ما دمتُ سأموت ولا مفرَّ من ذلك، لي عندك رجاءُ واحدٌ وأخير.

قال الشريفُ بكبرياءٍ فارغٍ:

ـ هيَّا. تكَلَّمْ. هذا.. من حقِّك.

قال سكارلِتْ بعد أن جفَّت الدمعةُ على خده وعادة ترتسُم قسماتُ الرجولةِ والتحدي واضحةً على وجهه المرهق:

ـ إن سيدي النبيل «إيرل هانتينغدون، المعروف باسم روبن هود، لا يَسمحُ أبداً لأحد رجاله بالموتِ شَنْقاً.. فهذا عارٌ وأي عار! لذلك، أرجوكَ أن تفكَّ وثاقي وتسلّمني سيفاً، وسأخوضُ معركةً داميةً ضدك وضد جميعِ رجالِك في آنٍ واحدٍ.. إلى أن أُقتل طعناً بالسيف!

أجاب الشريف:

ـ هذا أمرٌ مستحيل!

قالَ سكارلِتْ:

ـ حَسناً. . فكّ وثاقي، ودَعْ رجالَك يَهجمون عليَّ بأسلحتِهم، سادافعُ عن نفسي بدون أيِ سلاح!

أعلنَ الشريفُ:

ـ غير معقول. أقسمتُ بأن أقتلكَ شنقاً. . وبأن اشنقَ سيدكَ وكلَّ نصيرٍ له.

صاحَ سكارلت:

ـ هذا مستحيل! أنتَ جبان، خسيسٌ وغادر! أنت عبدُ شهواتِك، أيها العبدُ الحقير.

ـ تأكد بانك، عندما تلتقي سيدي روبن هود، سيجعلُكَ تَدفع الثمنَ كاملاً! أنتَ ورجالُك الأوغاد المجرمون المرتزقة، لن تستطيعوا القَضاءَ على روبن هود الشُجاع!

صاح الشريفُ وقد أعياهُ الصبرُ:

ـ كفى! أينَ هو الشانِق؟ لينفذ مهمتَه على الفور. . . بدون أيَّ تأخير!

إنما، حصل تأخيرٌ رغم أنفِ الشريف الغاضِب. إذْ بحثوا عن الشانق فلم يجدوا له أثراً! . . . وبعد فترةٍ من الوقت، عُثِرَ عليه في غرفتِه نصفَ مَيْتٍ. . من شدة السكر. وصاحبُنا الشانِقُ، لا يُضيِّعُ وقوتَه سُدىً. إنه يعيشُ حسب المبدأ المشهور: اليوم خمرٌ وغداً أمرٌ! بالفعل، زارهُ صديقٌ ليلةَ أمس واشتركَ معهُ في احتفالٍ مخمورٍ حتى بزوغِ أشعةِ الفجر. . . وما زالَ صاحبُنا النشوان حتى هذه اللحظة. . غائباً عن عالم الشريف وأحكامِه البهلوانية وأوامره المتهورة.

وازداد غضبُ الشريف حِدةً، بالأخص عندما اعتذر الشخص الثاني والثالث عن تـأديةِ مهمـةِ الشانق السكران. وكلاهُما اعتذرا بتهذيب وبشكلٍ قاطع، أخيراً، إلتفتَ الشريفُ إلى الحَشدِ وقال:

ـ هل يوجدُ أحدٌ بينكم من يَقدر على تَنفيذ إرادَةِ العدالة؟ من يَتحمَّل هذه المسئوليةَ، أدفع له الأجرَ المضاعف.

إنبعث طنينٌ وهمساتُ واحتجاجٍ من الجمهور

الناقمِ على تصرفاتِ الشريف غير القانونية؛ واستعدَّ الشريف أخيراً أن يأمر رجالَه ليهجموا على سكارلِتْ الأسير، ويقطعوا رأسَه بالسيف. وما كاد يرفع يده ليأمر أتباعَه، حتى دنا منه حاجٌ متجوِّلٌ عجوز، قائلاً بصوت ضعيفٍ مقهورٍ متوسلاً:

– أيها الشريف الأكرم، هذا الشخصُ الذي يُدعى سكارلِت، أساءَ لي مرةً، في الماضي، أُريد الآن أن أثأرَ منه. دَعْني أنفِّذ المهمة.. فأُرسله إلى الجنّة!

صاحَ بعضُ الأشخاص، مِن بين الجمهور، باستغراب:

– يا لهذا الشيطان العجوز!

والبعضُ منهم هتفوا:

– إرجع أيها الحاجُ الشرير!

قال الشريف آمِراً، غيرَ مُبالٍ باحتجاجِ الجمهور:

– تقدَّم أيها العجوز.. ونفِّذ المهمة.

مشى الحاجُ العجوز، مُتثاقِلاً، بينما يوجِّهُ اليه الناسُ

اللعناتِ على اختلافِ أنواعِها ويقتربون رويداً رويداً من المشنقة المنتصبة في وسط ساحة السوق.

في هذه الأثناء، صعد سكارلِتْ الى الكارَّة الخفيضةِ واتجه نحو المشنقة وتقتصر مهمة الشانق على الأمر التالي: وضع أنشوطة الحبل حول عُنقِ الضَحية ثُم ينزلُ نحو العَربةِ الخفيفة ويدفعها، من تحت قَدمي سكارلِتْ.. فيخرج اللسانُ ويسلم الروح ويدخل الجنةَ، على حدِّ قول الحاج المتجوِّل العجوز.

وتسلَّق الحاج على العربة بينما لعنات الجمهور الغفير تنصب عليه مدراراً.. من كل حَدْبٍ وصَوب.. وأصابته كتلةُ طينٍ.. وقد انطلقت كالسهم من جهة الحشد الناقم الثائر. لم يبالِ، بل اقترب من يدي الأسير وتحسَّس الرباطَ ثم أمسك بأنشوطة الحبلِ ووضعَها حول عنقه ووشوشه كلمات غير مفهومة.

فجأةً، تناولَ الحاجُ العجوز شيئاً ما، من داخل معطفِه الفضفاض، وأعطاه لسكارلِتْ؛ وبسرعةٍ خاطفةٍ، رفعَ سكارلِت السيفَ عالياً مُهدداً الشريفَ،

مُتحدياً أتباعَه ملوِّحاً به بشجاعةٍ فائقة، إذْ قطعَ الحاجُ العجوز الحبلَ الذي يربطُ يدي الأسير بطريقةٍ لم يَنتبه إليه أحدٌ؛ عندها صاحَ الشريفُ مُستغرِباً، خائفاً:

ــ الخيانة! النجدة! النجدة! اقتلوا هذا الوغد. هيا. اقتلوه على الفور! ولكن، قبل أن يتحرك أيُ شخص، نزع الرجلُ العجوز رداءَ الحاج المتجوِّل عن جسمه، وظهرَ أمام الشريف شاباً جميل المحيا، ممشوق القد، مفتول الساعدين، يرتدي الغطاء الواقي الأحمر القاني والبنطلون الضيق الأَخضر.. صاح الحشدُ مُغتبطاً:

ــ هذا روبن هود! روبن هود! لقد نَجا سكارلِتْ مِن حَبلِ المشنقة! الموتُ للشَريف وأعوانِه الظالمين.. أعداءِ الشعب!

بينما ثبَّتَ روبن السهمَ على النشّاب بخفةٍ ورشاقةٍ، ثم التفتَ إلى الجمهور الغفيرِ قائلاً بأعلى صوته الرّنان:

ــ يا رجالَ شِروودْ، يا أَحرار انكلترا.. انقذوا هذا

الرجلَ البريءَ من الموت.

صاحَ الشعبُ وقد استبدَّتْ به نشوةُ الفرحِ:

ــ روبنْ هُودْ!

وصرخَ الشريفُ يائساً:

ــ هذا أمير «هانتينغدونْ».. الخارجُ على القانون.. إني اخصِّصُ مكافأةً كبيرةً للشخصِ الذي يَقبض عليه. هيا. اقبضوا عليه!

وبومضة عين، انطلقَ السهمُ من قوسِ روبن هود واخترقَ قبعةَ الشريف وقالَ روبن على الفور:

ــ في المرةِ القادمة، سيكونُ رأسُكَ هو الهدف المنشود لسهمي الذي لا يُخطيء أبداً.

وبدأ الشريفُ يصرخُ كالمجنون:

ــ اقبضوا عليه. هيَّا! ماذا تَنتظرون؟!

وتقدَّم رجال الشريف نحو روبن، لكن روبن اتجهَ نحو الجمهور وتوسَّط مجموعةً من المُقاتلين، وبسرعة خاطفةٍ تهافت السهمُ إثرَ السهم على رؤوسِ وصدورِ

رجالِ الشريف من كلِّ حَدْبٍ وصَوْبٍ. . وأُصيبوا بدَهْشةٍ بالغة، إذْ لم يَتوقعوا مثل هذا الهطول من مطر السهامِ من كلِّ مكانٍ وفي آنٍ واحد. كيفَ خُلِقَ هذا العددُ الوفيرُ من أتباعِ روبين؟ وكيف انطلقت السهامُ وكلُّ رامٍ يصيبُ هدفَه بدقةٍ مُدهشةٍ. يا لَلمفاجأة! لقد كان روبن هود عجوزاً في ثوب حاج متجولٍ منهوكِ القِوى. . وفجأةً تحوَّلَ إلى فارسٍ مغوار، ينقضّ كالنسر على أعدائه وبإشارةٍ خاطفة، يطلق رجالَه السهمَ تِلْو السهمِ؛ ويتساقطُ الرجلُ تِلْوَ الآخر، صريعاً على العُشبِ الأخضر، بينما الشريفُ، الحائر والمنهزم، يفرُّ هارباً كالأرنب البريّ ويتوارى عن الأنظار قبل أن ينالَ نصيبَه من سهام الرامي الماهر الذي يحمل شعارَ الأخوة والمساواة بين المواطنين ويعتبرُ روبين رئيسَه والحقَ رائدَه والإحسانَ شيمته.

وشاهد سكارلِتْ، الشريفَ وهو يفرُّ هارباً كالجبانِ من ساحة المعركة، فضَحِكَ عالياً ساخراً:

ـ إلى أين أنتَ هاربٌ أيها الشريف العظيم؟! دَعْني

على الأقل أشكرك لأنك أمَّنتَ لي المبيتَ والنومَ طيلة ليلةٍ بكاملها. امكثْ لحظةً، حتى أُخبركَ أين يُمكنكَ العثورَ على روبين هود. كيفَ تُريدُ القبضَ عليه وأنت تركضُ في الإتجاهِ المعاكس؟!

ضحك روبين بدوره، قائلاً:

ـ دَعْهُ يَذهب. سنَلتقي مرةً أُخرى. . الآن، يا رفاقي الأعزاء، لنرجع بسلامٍ إلى غابةِ شِروودْ. ثُم التفتَ إلى الناسِ قائلاً:

ـ أيُّ انسان مضطهد يودُّ اللجوءَ اليّ، فإني موجودٌ على الدوام في غابةِ شروود. أهلاً وسهلاً بكل مشرَّدٍ مظلومٍ.

وانطلقت صيحةٌ واحدةٌ من الجمهور:

ـ باركَ اللهُ روبين هود. باركه للأبد!

وانطلق الفارسُ الشجاعُ مع رجالِه الأوفياء بعيداً وباعتزاز، الى الغابة الخضراء. . وعند عودتِهم، قال سكارلت لروبن هود:

ـ أشكرك يا سيدِّي العزيز ويا رفيقي. لم أتوقَّعْ مجيئَك. كم تِقْتُ إلى سَماع همهمةِ السهم المنطلق من القوس وهو يشق الرياح، والى بوق ساكن الغاب وترانيم الطيور. إيهِ يا سيدي، لا أستبدلُ جمالَ الطبيعة في غابة شروودْ بقصورِ الدُنيا قاطِبةً!

* * *

همهمة السهم: صوت السهم

كيفَ انضمّ «جون الصغير» إلى جماعَةِ رُوبِنْ هُودْ.

أنتم أيها الرجال الطيِّبون
تعالوا واشربوا نَخْبَ الحرية
مع روبِنْ هودْ النبيل
وإن لم يكن روبن هود في دارِه
تعالوا واشربوا النخبَ مع جونَ الصغير.

* * *

عندما أنقذ روبن هود، ويلْ سكارلِتْ من حبلِ المشنقة، عادَ إلى مأواه في غابة شِرْوودْ مُطمئنَ البال، وأخذ يَبني عدةَ أكواخٍ في أماكن مقطوعةِ الشَجر ويَصعبُ على المرءِ إكتشافَ أمرها، وشرعَ في تَدريب أتباعه وفي تَعليمِ الأفرادِ المُبتدئين أسرارَ الحياةِ الحرجية.

كثيرونَ انضموا إلى جماعتِه الثائرة، منهم

أسرار الحياة الحرجية: اسرار الحياة في الغابات

الخارجون على القانون والفقراء الذينَ لاقوا شتَّى
أنواعِ العَذاب على أيدي أسيادِهم الأشرار،
ومنهم مَن خدَموا الشريفَ رغم أنفهم أو خدَموا الفرسان
النورمانديين ونبلاءَ المقاطعة.

استعد روبن هود لكل هجوم طارىء، لذلك
خصَّص عدةَ اماكن متفرقة وسرية في أرجاء غابةِ
شِرْوود حيثُ يلتجئون إليها ويُخطِّطون لمعركةٍ
خاطفة. ويتوقَّع روبن مجيءَ الأمير جون إلى الغابة.
على رأس فرقةٍ كبيرةٍ وذلك كي يضمنَ لنفسهِ الفوزَ
الأكيدَ، ولن يفعلَ ذلك إلَّا غدراً. ولا عجَب، إن
احتاط روبن هود للأمر واستعدَّ لكلِّ الإحتمالات، لأنه
يعلَمُ تمامَ العلم بأنه أمامَ عدوٍ شَرسٍ، لا يَرحم ولا
يَتردد في ارتكابِ الجرائم على اختلافِ أنواعِها حتى
يضمنَ لنفسه السِيادةَ المطلقة والطاعةَ العَمياء لجميعِ
أبناء انكلترا من ساكسونيين ونورمانَديين، على حدٍ
سواء.

ويدرك روبن هود تمام الادراك بأن الشجاعة تنبع من
القلوب لا من كثرة العدد. لذلك، تراه يدرب رجاله

ليلاً نهاراً أحسن التدريب ويعلمهم فنون القتال،
كالرماية والمبارزة بالسيف ولعبة النَّبوتْ بالاضافة الى
ممارسة فن الصيد، ـ صيد الأيِّل والخنزير البري
والأرنب الوحشي والطيور على اختلاف انواعها.

وأحياناً، يترك روبن هود مخبأه في الغابة الخضراء
الساحرة، ويكلِّف ويلْ سكارلِت القيام بدور القيادة
أثناء غيابه.. ويتجه متنكراً الى المناطق الأخرى مع
بعض رجاله الأشداء، ثم يعود وقد التقى بعض
المسافرين الأغنياء، فلم يتردد بسلبهم أموالهم..
وصادف بعض الأشخاص الفقراء المضطهدين فجاء
بهم الى غابة شروود وأعطاهم من مال الأغنياء ما
يكفيهم وقدَّم لهم الطعام والمبيتَ.. واصبحوا مع مر
الزمن من المقاتلين الاوفياء والبارعين كغيرهم من
انصار روبن هود، في رمي السهام وممارسة لعبة النَّبوت
وفي المبارزة بالسيوف بثقة بالغة وبرشاقة مدهشة.
وأغلب المضطهدين المشردين هم من الساكسونيين،
ولم يجدوا ملاذا لهم ونصيرا انسانيا سوى روبن هود
الفارس الشجاع الأبيّ. «وما جعل الله للناس رؤساء

إلا ليسندوا ظهورَ الضعفاء منهم».

وكعادة روبن هود، لا يبتعد عن مخبأه في الغابة إلا متنكراً إذ يرتدي المعطف الفضفاض فوق ثوبه الأخضر مثل أشجار الغابة بالاضافة الى عباءته الحمراء مثل شجاعته النادرة ويتزوَّد دائماً في الحل والترحال بقوس كبير ومتين مع عشرة سهام مصنوعة من خشب الطَّقسُوس. وكل سهم يبلغ ثلاثة أقدام!

ولما ازداد عدد انصاره في الغابة الخضراء، التفت اليهم ذات يوم، قبل رحيله الباكر، الى القرى المجاورة وقال لهم بنبرة آمرة: «امكثوا حيث أنتم يا رفاقي السُعداء. ولكن إهرعوا اذا ما سمعتم صَفْرَة البوق، إذْ.. هذا هو ندائي الخاص. لقد مضى علينا أربعة عشر يوماً، ولم نمارس اية لعبة مسليَّة، لذلك اذهب الآن مع بعض رجالي الاعزاء، بحثاً عن لعبة مفيدة. ولكن إن وجدتُ نفسي في مأزق، سأنفخ على البوق.»

بعد ذلك ودَّع سكارلتْ والآخرين؛ ومضى لوحده مجتازا الغابة الكثيفة الخضراء؛ كله آذان صاغية وعيون

في الحل والترحال: في الإقامة والسفر

يقظة.. لأدنى حركةٍ أو إشارةٍ تُنذِرُ بالخطر المشئوم.. ويده تمسك بقوة القوس الكبير المتين.. انه مستعد تمام الإستعداد، لأي خطر يداهمه.

هكذا رحل وحيداً مع قوسه وسهامه وبوقه.. واجتاز مسافة طويلة، إلى أن وصلَ أخيراً قربَ جسرِ نهر. وهذا الجسُر الخشبيُ صغيرٌ وضيِّقٌ.. وإن حَاولَ إثنان اجتيازَه في آنٍ واحدٍ، وقعَ أحدُهما.. لا مُحالة.. في قاعِ الجدول! ويا لَلصُدفة! لقد ظهرَ من الوجهة المعاكسة من الجسر، رجلٌ وأي رجل! طويلُ القامة، ضخمُ الجثة.. يتجاوزُ طولُه سبعةَ أقدام! ويحملُ كذلك، عصاً طويلةً وغليظة. والويلُ لمن تَقع على أمِّ رأسِه، فترديه قتيلاً، على الفور. بالطبع، لا يَستطيع روبن هود إجتياز هذا الجسر الخشبي الضيِّق، ما دامَ مثلُ هذا الرجل العملاق، واقفاً، دونَ حراكٍ، في الجِهة المقابلِة. قال روبن هود:

- صباح الخير. دعني، لو سمحت، اجتاز الجسر.

بقي الرجلُ الغريبُ مكانَه، صامِتاً.. كأنَّ شيئاً لم

يكن. عندها، ثبَّتَ روبن السهمَ على النشّاب واتجه نحو الجسر. ابتسم الرجل الغريب بسخرية وقال:

ـ أنتَ خائفٌ مني. لذلك تحمل السهمَ والنشّابَ. أما أنا.. فلا أملك سوى هذه العصا.

عندها، وضعَ روبن هود السهمَ والنشّابَ أرضاً. واتجه نحو شجرة مجاورة، واقتلع غصناً وصنع منه عصاً متينة. ثم عاد الى الجسر قائلاً وابتسامة الواثق من نفسه لا تُفارقُ شَفتيه:

ـ هيَّا. إني مُستعدٌ للمعركة. مَن يسقط في النهر، يُعتبر الخاسِر.

وبدأ العراك بينهما، على الجسر. ودامت المعركة اكثر من ساعة. وبعد جهد جهيد، استطاع روبن إصابة الرجل الطويل القامة، على أُم رأسه. على الفور مال الرجل الغريب الى جهة اليمين، فقد توازنه، وسقط في قاع النهر. صاح روبين ضاحكاً هازئاً:

ـ ها ها! مثل هذا الحَمام ينفعك يا عزيزي!

وما كاد ينتهي روبـن من عبارته هذه، حتى فاجأه

الرجل، بضربة محكمة على رأسه، فتمايل قليلا، ثم فقد توازنه وسقط بدوره في النهر! عندها، صاح الرجل الطويل القامة ضاحكاً بأعلى صوته:

ـ جاء دوري كي اضحك يا صاحبي العزيز. ها ها ها!

وخرجَ روبـن من النهر وهو يَضحكُ، إذْ أعجبته هذه اللعبةَ المُسلّية، وقال له مبتسماً:

ـ أنت رجل ماهر وشجاع.. وبإمكانك الضرب على أُم الرأس بقوة موجعة!

بينما وضع روبـن يده على رأسه يتحسّسه بأصابعه العشر، ثم قال بنبرة متواضعة:

ـ انت الرابح. ماذا تطلب مني لقاء هذا الانتصار؟

أجاب الرجل الغريب:

ـ هلاَّ ساعدتني للعثور على روبـن هود. أودُّ أن أصبح أحدَ رجالِه.

نفخ روبن على البوق. وبعد لحظات معدودة،

هرع اليه عشرون رجلاً، من جهة غابة شروود. ورأوا فارسهم في النهر، مبللاً من قمة هامه حتى أخمص قدميه. قال ويل سكارلِتْ غاضباً حانقاً:

ــ هذا الرجل رماكَ في النهر. هلاّ سمحتَ لنا برميه في المكان ذاتِه.. يا روبن؟!

فغر الرجل الغريب فاه مستغرباً، قائلاً:

ــ روبن؟ روبن؟ أأَنتَ روبين هود؟ يا للعجب! ضربتُ روبين هود بعصاي هذه!

ابتسم روبن وقال لرجاله:

ــ أجل.. لقد اصابني بعصاه الغليظة على أم رأسي.. ورماني في النهر وربح المعركة وربح الشرط.

سأله أحد رجاله ضاحكاً:

ــ وما هو الشرط؟

أجابَ الرجلُ بخَجلٍ ظاهر:

ــ طلبتُ منه مُساعدتي للعثور على روبين هود، كي

أنضم إلى جماعتِه. وتعالت الضحكات. وسردَ روبين القصةَ من البداية حتى النهاية، ثم التفتَ إلى الرجل الطويل، قائلاً:

ــ إنكَ تُعجبني. تعالَ معي وكُنْ واحداً من رجالي الأشدّاء. سأُعطيك القوس والسِهام وسأُعلِّمكَ فنَ الرِماية.

مدَّ الرجل يده وصافح روبين بحرارة وقال بحماس:

ــ أجل، لي الشرف أن اكون أحد رجالِك الأوفياء

سأله روبين بنبرة لطيفة:

ــ ما هو إسمُك؟

اجاب الرجل الطويل:

ــ إسمي: جون ليتِلْ.

ضحك روبين وقال:

ــ سندعوك من الآن فصاعداً: جون الصغير!

وذهب جون الصغير مع روبين هودْ ورجالِه.

واصطادوا أيِّلين وشَوى سكارلِتْ الطريدتين على النار. . أكلوا جميعاً اللحَم الشهيَ وشَربوا الخَمر المعتَّقَ. . حتى غياب الشمس. وفي اليَوم التالي، أعطى روبين، جونَ الصغير مِعطفاً من اللِّنْكون الأخضر وقوساً وسهاماً ثم قالَ له:

ــ الآنَ، سأعلِّمكَ أُصولَ الرماية.

كان جون الصغير ذكياً، تعلَّم أصول الرماية بسرعة مذهلة. ولم يلائمه القوسُ العادي، نظراً لطول قامته. . صنعوا له قوساً كبيراً جداً، يناسب حجمه تماماً. وذات يوم. قال له روبين:

ــ هل تستطيع اصطياد ذاك الأيِّل. . سأله جون الصغير:

ــ أين هو؟

ــ هناك. . على التلة البعيدة.

وبخفة ورشاقة، تناول جون الصغير سهماً وثبّته على القوس وصوّبه نحو الأيِّل. . وقذف السهم بقوة وبطريقة الواثق من نفسه. . وما هي إلا لحظات

خاطفة، حتى سقط الأيِّل مضرجاً بدمه، على التلة الخضراء.

فرح روبين أشدَّ الفرح. . قال له باعتزاز:

ــ لا اعرف انساناً يجيد استعمال القوس والسهم أفضل منك إنك بارع حقاً.

لكن ويل سكارلت، بادرة قائلاً:

ــ أعرف شخصاً يجيد استعمال السهم والنشّاب أفضل من جون الصغير.

سأله روبين:

ــ ماذا تقول؟ هل انت جاد في كلامك؟ أجاب سكارلِتْ:

ــ أجل، انه أمهر منك ومن جون الصغير. . ويُدعى الأخ «تاكْ»

قال روبين هود:

ــ أودُّ التعرُّف عليه. . أينَ يُقيم؟

قال سكارلِت:

ــ إنه يُقيم في «دير الينابيع».

وضع روبين قبعةً من فولاذ على رأسه وتناول سيفه واتجه نحو دير الينابيع. لكنه التقى رجلاً قرب كوخ، يجاور النهر. ويرتدي قبعة من الفولاذ ومعه سيف حاد.. تماماً مثل روبين. لدى رؤيته، صاح روبين بأعلى صوته:

ــ أنت هناك انتظرني لحظة. وخرج من الغابة واقترب منه، قائلاً له:

ــ من فضلك أيها الأخ، ساعدني على اجتياز النهر.

ومن واجب كل عضو أخوية دينية، مساعدة الغير بدون تردد! وهذا ما فعل الأخ «تاك» على الفور. لكنه التفت الى روبن، فلاحظ بأنه شاب قوي البنية وبإمكانه اجتياز الجدول بلا أية مساعدة.. من أحد!

وحدَّث نفسه: «إن أمره غريب هذا الشاب». مع ذلك، قال له، بعد أن انحنى قليلاً:

ــ هيّا، إصعد.

وصعد روبين على ظهره فسارَ به الأَخُ «تاك» مجتازاً النهر. قال روبين، بعد أن قفز عن ظهره حين وصوله الى الضفة الأخرى من النهر:

ــ شكراً أيها الأَخ.

قال الأَخ تاكْ:

ــ انتظر! هل قدَّمتُ لك المساعدةَ الكافية؟

أجاب روبين:

ــ أجل. اشكرك شكراً جزيلاً.

قال الأخ:

ــ مهلاً. اني مغتبط لأني ساعدتُك يا عزيزي.. إذ من واجب الأخ مساعدة الناس. والآن جاء دورك كي تعيدني الى الضفة الأخرى من النهر.

وما كادَ يَنتهي من هذه العبارة، حتى استلَّ سيفَه مهدِّداً. عندها، اضطر روبين الى حمل الأَخ تاك، السمين.. الى الضفة الأخرى من النهر، لم يكن

العمل سهلاً إطلاقاً، فوزنه الثقيل ذكّره بوزن الثور.
وقبل ان يصل به الى الضفة الاخرى، قبض عليه بيده اليمنى وألقاه على أم رأسه في قاع النهر. فسقط الأخ تاك كالقرع، محدثاً ضجة مزعجة، وضحك روبين عالياً.. وانهمر الدمع من مقلتيه من شدة الضحك. ولم يكتف بذلك، بل استلّ سيفه وقال للأخ المبللّ بالماء البارد:

ـ والآن، جاء دورك كي تعيدني الى الضفة الأخرى من النهر.. رغم أنفك... وإلا مصيرك القتل بهذا السيف البتّار.

قال الأخ:

ـ حسناً.. كما تشاء.

وانحنى على الفور وقال:

ـ هيا.. إصعد!

واجتازَ الأخُ تاكْ النهرَ وروبين على ظهره، ولكن، قبلَ الوصولِ إلى الضفةِ الثانية، قبضَ الأخُ على يدِ

روبين، ورَماهُ رأساً على عقب، في قاع النهر! وفي هذه الأثناء، ظهرَ رجالُ غابةِ شِرووودْ وأخذوا يتفرَّجونَ مَسرورينَ على معركةٍ حاميةٍ بين مُقاتِلَيْنِ قويين، يتبارزان بالسيفِ، بمهارةٍ فائقةٍ. وكان السيفان سريعين تماماً كالبرقِ الذي يَلْمعُ في السماء. وبفضلِ قبعته الفولاذية، نَجا رأسُ الأخِ، «تاك» من ضربةِ سَيفِ روبين.. نجا اكثر من مرة كذلك روبين، أُصيبَ بسيفِ الأخ «تاكْ»، على أمِّ نافوخه، لكنَّ القبعةَ الفولاذية أبعدَتْ عنه الضربةَ القاضية. وأخيراً، قالَ الأخُ تاك لاهِثاً، وقد أعياهُ التعبُ:

ـ كفى قِتالاً. أنتَ رجلٌ شجاعٌ وحاذِقٌ جداً. مَن أنتَ؟

ـ روبن هود.

ثم رفعَ يدَه عالياً، وبومضةِ عينٍ، تهافتَ رجالُه عليه، وأحاطوا بالأخ السَمين، الذي يُحدِّقُ به وبرجالِه صامتاً مشدوهاً. حدَّثَ نفسَه: «يا إلهي! من أينَ جاؤا وبهذه السُرعةِ المذهلة... كالعفاريت؟!»

قالَ روبين:

ــ جئت إلى هذا المكان بحثـاً عن الرجل الذي يُجيدُ فنَ الرماية بالنشّاب والسَهم. لكني عثرتُ على رجلٍ، يُجيدُ إستعمالَ السيف:

قال ويلْ سكارلِتْ:

ــ إنه بارعٌ في استعمال القَوسِ والسَهْمِ أيضاً. بمقدورِه أن يتحدَّى جون الصغير أو روبن هودْ.

قال روبن:

ــ الآن، عثرتُ عليكَ. أطلبُ منكَ مشاركتنا في العيش الحر، بين أحضانِ الطبيعة. نأخذُ المالَ من الأغنياء ونُعطيه للمُحتاجينَ الفقراء.

هكذا، إنضمَّ الأخُ «تاكْ» إلى جماعةِ روبِنْ هود المتمردين ضد ظلم الحاكم الطاغي الأمير جون، والمؤمنين بيوم الفَرجِ القريب، أي بيومِ عودة الملك ريتْشاردْ مِن فلسطين لِيُحرِّر هؤلاء الفقراء المُضطهَدين من قيودِ العُبوديةِ البَغيضة.

* * *

قُلنا بأن ماريان دَنتْ من والدِها اللورد وطبَعتْ قُبلةً خاطفةً على خدِّه، ولم تأبه لحضورِ السير «غِيْ» الذي يَغلي كالمِرجل وكان يتمنى نَظرةً واحدةً من عينيها الجميلتين الساحِرتين.. وانطلقتْ كالغـزال فَرحـةً مُتفائلةً الى غابةِ شِرْوود، القوسُ بيدِها والسهامُ على خاصرتِها.. بحثاً عن فارسِ أحلامِها: روبِن هُودْ!

لكنَّها لم تَذهبْ تَواً إلى الغابة.. بل عَرجتْ على «دَير الينابيع» واستقبلها رئيسُ الدير أحسنَ استقبالٍ وحاول إقناعَها بالعَدولِ عن رأيها والرجوع الى والدِها اللورد والخضوع للمشيئة الأبوية.. وقالتْ ماريان لرئيسِ الدير:

ــ أمهِلْني أُسبوعاً.. حتى أُفكِّر ملياً بالأمر. ويبدو بأني مقتنعةٌ بكلامِك.

لكنها لم تَمكُثْ أُسبوعاً في الدير.. بل نطقَتْ بمثلِ هذا الكلامِ، حتى تخدَعَ رئيسَ الدير ويتَّسنى لها بالتالي الهربَ بعد أيامٍ معدودةٍ من قَبضتِه واللجوء إلى غابةِ شِرْوودْ. وبالفعل، قررتْ في اليومِ الثالث،

ارتداءَ ثيابِ صبيٍ يافعٍ، وأخذت القوسَ والسهامَ وفرّت عند الفجر، من الدير، متجهةً نحو غابةِ شِرووْد. وهي تحدِّثُ نفسَها: «أينَ أنتَ الآن يا حبيبَ الفؤاد ،يا رفيقَ الطفولة.. كيف أنسى هذه الغابة وتلك الأيام الغابرة.. أيامَ الطفولة.. حيثُ كُنا نَقضي أجملَ الساعاتِ وأسعدَها سوياً.. كالحلم تَماماً. إيهِ لو تعود هذه الأيام الغابرة يا رفيقَ الصبا ويا حبيبي الغالي. أينَ أنتَ الآن يا روبين؟ كم أنا مشتاقةٌ إليكَ.. إلى ابتسامتك الحلوة وصوتك العَذْب».. وانهمرتْ دمعتان سخينتان من مُقلتيها وهي تَسيرُ وحيدةً شاردةً في الغابة. تركت الديرَ كما تركَت القصرَ، بُسرعةٍ خاطفةٍ وبلَهفةٍ بالغةٍ.

بعض الأحيان، يرتدي روبين معطفاً طويلاً وفضفاضاً فوقَ ثوبِه الأخضر ويَضعُ الغطاءَ الواقي على رأسِه لإخفاءِ وجهِه.. ثم يَتجوَّلُ في غابةِ شِرْوودْ.

يُريد بهذه الطريقة الخفيَّة، التعرُّفَ على الأشخاص الذين يَقصدونَ هذه المنطقة شاهدَ صبياً، يمسكُ بيَدٍ القَوسَ، وبيدٍ أخرى، عصا غليظة. ويَرتدي

فضفاضاً: واسعاً

الصبيُ غِطاءً واقياً للرأس، أحمرَ اللون.

ناداهُ روبين قائلاً:

ـ أيُها الفتى، ما حاجتُك لهذا القوس؟ لا يَحق لأحدٍ، إصطيادَ أيِّل الملك في هذه الغابة. إرحَلْ بعيداً ولا تَرجعْ ثانيةً إلى هذا المكان.

أجابَ الفتى:

ـ لن أرحَل بعيداً. لا أخافُ من الرَجلِ الذي يَسترُ وجهَه.

قال روبين:

ـ لا تُحدثني بهذه اللهجة.

وعلى الفور، أمسكَ روبين العَصا بيديه جيداً، كذلك فعلَ الفتى، وبدأ العراكُ بينهما. لم يَشأ روبين إلحاقَ الفتى بأيِ أذىً، لكنَّ الفتى استطاعَ أن يُدافعَ عن نفسه برشاقةٍ مدهشة.

وبعدَ فترةٍ وجيزةٍ، ضَحِكَ روبين قائلاً:

ـ أنتَ فتى يافع، لكنكَ تُقاتِلُ بمهارة. إنك تُقاتل

كرَجُل! أُريدُكَ أن تكونَ واحداً من رجالي. أتريدُ الإنضمامَ إلى جماعتي؟ ما رأيُك؟

رفعَ روبين الغِطاءَ الواقي عن رأسِه فشاهدَ الفتى وجهَه. عندها، صاحَ الفتى مُندهِشاً:

ـ روبن! يا إلهي!

وفي هذا الوقت بالذات، رفعَ الفتى الغطاءَ الواقي عن رأسِه أيضاً. وبدورِه، صاحَ روبين مُغتبطاً:

ـ ماريان! لماذا لم تَكشفي عن وجهِك قبلَ المعركة يا ماريان؟!

أجابَتْه على الفور:

ـ لم أكن أعلم بأنكَ روبين هُودْ! وتعانقا طويلاً، ثم جلسا قربَ النهرِ وبدأت ماريان بسَرْدِ حكايتِها مع والدِها اللورد ومع السير غي ورئيس الدَير.. في نهاية الأمر؛ وكيفَ هربت مُتنكرةً بزيٍ صَبيٍ، مفتشةً عن حبيبها روبين، في هذه الغابة الواسعة والموحشة.. ثم قالتْ له بنبرةِ المُشتاقة:

ـ أُريدُ أن أَقضيَ عُمري إلى جانبك يا روبين. وكلُّ لحظةٍ أَقضيها بَعيدةً عنكَ، أَعتبرُها لحظةً ضائعةً مِن حياتي.

فكرَّ روبين مَليّاً. ثم قالَ بلُطفٍ:

ـ لكن الحياةَ التي أَعيشُها في الغابةِ صعبةٌ جداً، يا ماريان.

صمتَ قليلاً ثُم ابتسَم ابتسامةَ العاشق الولهان وقالَ بنَبرةٍ هادِئَةٍ وهو يَضمها إلى صَدرِه:

ـ حَسناً.. سأَفعلُ المُستحيلَ كي أَجعلكِ سعيدةً.

قالت ماريان:

ـ سأكونُ دائماً سعيدةً إلى جانبك يا روبين. أَنتَ حبيبي الوحيد ولن أَرضى حبيباً سِواكَ في هذه الدُنيا الفانية.

وسارَ الإثنان مسرورين، صامتين، نحو مخبأ الجماعة. وعندَ وصولهما، لم يُشاهِدْ روبين أحداً. عِندها، تناولَ البوقَ ونفخَ عليه. وما هي إلَّا لحظات

معدودة، حتى ظهر رجاله من كل حدبٍ وصوب. . وقد لَبُّوا النداءَ بأسرعِ وقتٍ ممكن. إبتسم روبين وقالَ بافتخارٍ:

ـ هذه هي ماريان. لقد جاءَتْ إلى الغابة، لتعيشَ معنا، في السّراء والضّراء. وفرِحَ الجَميعُ أشدَّ الفرح. ثُم التفت روبين إلى رجالِه وقال:

ـ أينَ هو الأخُ تاكْ؟

أجابَ ويلْ سكارلتْ:

ـ لقد توغَّل بعيداً في قلبِ الغابة. . وسلاحُه: القوسُ والسِهام.

قال روبين آمِراً وهو يتأملُ وجهَ ماريان الجميلَ والبريءَ كبراءةِ الطفل:

ـ إذهبوا وابحثوا عنه. إنّي بحاجةٍ إليه الآن.

ذهب ثلاثة رجالٍ بحثاً عن الأخِ تاكْ. . فعثروا عليه وهو راجعٌ وعلى ظهرِه طريدةٌ ذات شأنٍ: غزالٌ سَمينٌ!

قالَ لَهُ أحدُهم على الفور:

ـ روبين هود أرسلَنا لِلبَحثِ عنكَ.

سألهم الأخُ مُستغرِباً:

ـ ولماذا؟ هل أنا طفلٌ. . حتى يبحثَ عني كلّما ابتعدتُ عن الدار؟

ـ كلا. إنما يُريدكَ لأمرٍ هام.

وعندما وصلوا، وجّه الأخُ السؤالَ إلى روبين:

ـ ماذا تُريد؟

قال روبين:

ـ هذه هي ماريان. نحبُّ بعضَنا منذ الصِغَر. نريدُ أن نتزوجَ. هل تَستطيعُ القيامَ بهذه المهمة؟

هزَّ الأخُ رأسَه علامةَ الموافقة. وعندَ غروبِ الشمس، تّم عقدُ القران بينَ روبين وماريان بفضلِ بَركةِ الأخِ تاكْ. . عند جذع شجرةٍ مورقةٍ ضخمةٍ. أشعلَ الرجالُ النارَ وقدّموا الغزالَ المشويَ على المائدَةِ الخشَبية وشربوا الخمرَ المعتق حتى الثُمالة وأكلوابشهيّةٍ فائقةٍ وسردوا القصصَ المختلفةَ ورفرفتْ أجنحةُ السعادةِ على الجميعِ

خَطْفُ عروس لآنْ دالْ.

كان روبين هُودْ وماريان يَتنزَّهان في الغابة. جلسَا على صخرةٍ، تحتَ ظلِّ شجرة.. بعد فَترةٍ وجيزةٍ، شاهدا شاباً. يَرتدي الثوبَ الأحمر الجميلَ وكان ينشدُ الأغاني الشعبيةَ بفرحٍ عظيم.

في اليوم التالي، شاهدا هذا الشابَ نفسَه، يَتنزهُ حزيناً، شارداً ويَرتدي الثوبَ البنيَّ الممزَّق. فارقته إبتسامةُ الأمل وحلَّتْ محلَّها تجاعيدُ الكآبة واليأس.

سأله روبين:

ــ مَن أنتَ؟... وما بالُكَ حزيناً؟

لَزِمَ الصمتَ وتابعَ سيرَه وَحيداً، بَعيداً عن روبين وماريان.

إلتفتَ روبين إلى عَروسه الجميلة وقالَ لها:

ــ أمرُه عجيبٌ هذا الشاب! بالأمسِ كان فَرِحاً جَذْلاناً، يَنشدُ أحسنَ الأغاني وأعذَبها لحناً، واليوم أراه شارِداً حزيناً، بائساً مقهوراً.

هزّت ماريان رأسَها، علامةَ التأسُّف وقالت:

ــ إنه يدَفن في صدرِه سراً ما.. هذا الشاب. عذابُه أخرس.

قال روبين:

ــ حبَّذا لو يُخبرني ما به.. لقدَّمتُ له المعونةَ اللازمةَ.

ومع غروب الشمس، توارى الشابُ الحزينُ عن الأنظار بين الأغصان الخضراء المورقة والتلالِ الخصبةِ والأنهار المُنسابة كالحَّيةِ الرقطاء بينَ الأعشاب والنباتاتِ والأزهارِ الفواحَّة... وعادَ روبين وعروسُه إلى الكوخ الخشبي المتواضع، بين الأشجار الباسقة والطيور الصدَّاحة. ما أسعدَ الحياة بينَ أحضانِ الطبيعة وفي جوٍّ مُنعمٍ بالسلامِ والمحبة.

كالعادة، جلسَ روبين هود وماريان وبعضُ رجاله الأوفياء حولَ النار، يَسردون لبعضِهم القصصَ المسلِّية والمغامرات الشيِّقة، تحتَ ضوءِ القمر الناعِس. ومن بَعيدٍ، وقعَ بصرُ روبين على جون الصغير وصديقهِ

الطيور الصداحة: الطيور المغنية

«ميدجْ»، يتوسطهما شابٌ غريب.. ويقتربونَ منه مترددين. والمعلوم أن جون الصغير هو أطول الرفاق قامةً وأن ميدج هو أصغرهم قامةً وحجماً.. ويتمتع ميدج بالحِذق والمهارة بشكلٍ ملحوظ ويتقن فنَّ النكتةَ ويجعلُ الأرملةَ تضحك بأعلى صوتها... ساعة المأتم!

قال ميدجْ، لمَّا وصلَ قربَ الجماعة:

ـ السلام عليكم.

ـ وعليك السلام.

وتابع قائلاً:

ـ عثَرنا على هذا الشاب المسكين شارداً في الغابة، سألناه: من أنتَ وإلى أينَ أنتَ ذاهب؟ لكنه لم يَلفظ بكلمةٍ واحدة

قال جون الصغير:

ـ لعلَّه أخرس.

قال روبين مُعترضاً:

ـ كلا. لقد سَمعتُه بالأمس وهو يُغني أجملَ الألحان وأعذَبها.

قالَ مِيدجْ:

ـ ربما أصابته مصيبةُ ففقدَ لسانَه. تَمتمتْ ماريان كأنها تُحدِّث نفسَها:

ـ ربما أُصيبَ قلبُه بسهمِ الحب البائس. الحب.. يفعل الأعاجيب. ينبوعُ سعادة للبعض ومصدرُ شقاءٍ وتعاسةٍ للبعض الآخر.

إقتنعَ روبين بما ذهبَتْ إليه زوجتُه الصبيَّة، فقال للشابِ الحزين:

ـ هل تملكُ مالاً.. كي آخذَ قِسطاً منه وأُوزِّع البقيةَ على رفاقي؟

قال الشابُ:

ـ كلا يا سيدي، أملكُ فقط خمسة بِنْسات وخاتَماً. وكان الخاتمُ مُلْكَ أجمل فتاةٍ في إنكلترا.

قالَ روبين:

ـ ما هو اسُمك؟ ولماذا أنتَ حزين؟

أجابَ الشابُ:

ـ إسمي: «ألان دالْ». أوشكتُ بالأمس أن أتزوج أبهى وألطفَ مخلوقةٍ في انكلترا. لكن والدَها قال: «كلا. لن تتزوجَ إبنتي. لقد اخترتُ لها زوجاً عجوزاً لكنهُ يملكُ ثروةً طائلةً ويُدعى ويليام لينبي».

لم يَرُق هذا الكلام كثيراً لروبين هود، فقال مُعترضاً:

ـ لا يُمكنك أن تتزوجَ أجمل وألطفَ فتاة في انكلترا. إن زوجتي ماريان، هي ألطف وأجمل امرأة. لكني أعِدُكَ بأني سأُساعِدُكَ كي يتمَّ زواجُك من الفتاةِ التي تُحب.

إبتسمَ ثم قال:

ـ كم تدفع لي من المال لأُخلِّص فتاتَك من هذا العجوز الشيطان؟

أجابَ «ألانْ دالْ» بنبرةٍ صادقة:

ـ أنا رجلٌ فقيرٌ يا سيدي. ولكن، كن واثقاً بأني سأخدمك ما حييت. . إذا ما أرجعتَ لي حبيبتي.

ـ كم ميلاً يُبعِدُ منزلُها عن هذا المكان؟

أجابَ الشابُ الفقير:

ـ خمسةَ أميالٍ يا سيدي. يجاوِزُ بيتَها كنيسةٌ صغيرةٌ.

سأله ويلْ سكارلِتْ:.

ـ ومتى سَيتّم الزواج؟

أجابَ الشابُ المسكين:

ـ بعد ثَلاثِ ساعاتٍ تقريباً. وابتعدَ قليلاً محدثاً نفسَه وقد بدا شحوبُ اليأس واضحاً على وجهه الحزين: «بعد ثلاث ساعات. . سيتزوجها رغماً عنها، هذا الشيطانُ العجوز. لولا هذا المال اللعين، لما تحوَّل فَرحي الى تَعاسةٍ حتى ساعة موتي!»

انتصبَ روبن هود واقفاً، دنا منه ووضعَ يدَه اليُسرى بتحنانٍ على كتفه وقال بلُطفٍ:

— لا تحزن يا صديقي. . سترجع لك حبيبتُك شاءَ أم أبى والدُها الأحمق الطمَّاع الحبُ لا يُشترى ولا يُباع. الحبُ نعمةُ إلهيةُ وحقٌ مقدَّسٌ لكلِّ الناس. . أغنياء وفقراء على حدٍ سَواء. . بل لا يَعرفُ الحبَ الصافيَ الحقيقيَ سوى الفقراء المعذبين. الحبُ تضحيةٌ ومبادلةٌ روحية وليس تجارةً رخيصةً يُعرض على الأسياد في سوق النخاسة.

ثم التفتَ روبين الى سكارلِتْ وميدجْ وقالَ لهما:

— ستَتفِقُ على خطةٍ. . سننفذُّها بدقة وفي الوقت المناسب. . قبل أن يتمَ زواج فتاتِه المسكينة مع هذا الشيطان العجوز!

الخطةُ البارعةُ لإنقاذ العَروس من براثنِ الشيطان العجوز:

إرتدى روبين المعطفَ الأخضر الفضفاض ودخلَ إلى المغارة وجاءَ بقيثارٍ جميلٍ. ورافقَ روبنْ هودْ في

ذَهابه إلى الكنيسة، الأخُ «تاكْ» وعشرونَ رجلاً بالإضافة إلى «آلانْ دال».

عندما اقتربوا من الكنيسةِ، قالَ روبين هود لرجالِه «ولآلان دال».

— إختبئوا هنا. لا تُثيروا أيةَ ضجة. عندما أنفخُ على البوقِ، تَهرعوا إلى الكنيسة.

إتجه روبن هود لوَحدِه إلى الكنيسة. كان «ويليام لينبي» واقفاً قرب الباب. أما روبين فقد تنكّر في زِي العازفِ على القيثار المتجوِّل. عندما رآهُ العجوز الثَري، سأله على الفور:

— من أنتَ؟

— إني عازفٌ على القيثار.

سأله العجوزُ من جديد:

— هل تُجيد العزف.

إبتسمَ روبين ابتسامةَ الواثقِ من نفسِه، هزَّ رأسه علامةَ الإعتزاز وقال:

ـ إني أمهر عازفٍ في إنكلترا.

حكَّ العجوزُ رأسَه وقال مُغتبطاً:

ـ حسَناً! إعزف لي الآن.

قال روبين:

ـ سأنتظر قدومَ الناسِ إلى الكنيسة. عندما يحضر جميع أصدقائك، سأعزف لك ما شئتَ من الألحان العذبة.

بعد فترةٍ وجيزة، تهافتَ الأصدقاءُ والصديقاتُ. احتلَّ اصدقاءُ ويليام الأغنياء، مكاناً بارزاً في الكنيسة، بينما احتلَّ الخدمُ والرجالُ المقاتلون، مكاناً بعيداً عن المذبح. ثُم، حضرَ والدُ العروس مع ابنتِـه الى الكنيسة. كم تبدو جميلةً، لكنها كم تبدو أيضاً حزينةً وبائسة! عندها، اتجه روبين نحو المقدمة وقال بصوتٍ عال:

ـ هل أعزفُ لكم الآن أعذبَ الألحان؟

قال ويليام بحماس:

ـ أجل. أجل. دَعْنا نَسمع أعذبَ الألحان.

قالَ روبن هود:

ـ إسمعوا لحنَ البوق أولاً.

ونفخَ على البوق، وبومضةِ عينٍ، حضر «آلان دال» إلى الكنيسة.. حامِلاً بيديه قوسَ روبين وسهامَه. وبعد لحظات، لحقَه رجالُه الأشداء.

توَّزع الرجالُ حولَ الكنيسةِ وكلَّ واحدٍ يحمل قوسَه وسهامَه، مُستعِداً لخوضِ المعركةِ عند أول إشارةٍ تصدرُ من روبين هود.

وأمامَ دهشةِ الحضور، وجَّهَ روبين كلامَه إلى العروس الباكية:

ـ أتقبلين ويليام لينبي زوجاً لكِ؟.

أجابَتْ بنَبرةٍ يائسةٍ وقد اغرورقت عيناها بالدموع:

ـ كلا. إني أُحبُ ألانْ دالْ.

قال روبين هود:

ـ في هذه اللحظة بالذات، ستتزوجين آلان دالْ، في هذه الكنيسة بالذات.

إلتفت الى رجاله وصاح:

ـ أين الأَخ تاكْ؟

ـ اني هنا.

ـ هل أنتَ مستعدٌ؟

ـ تمامَ الإستعداد.

وتوجّه الأَخُ تاكْ إلى المذبـح، تناولَ الكتابَ المقّدس وبدأ بالصلاة.. وبعد فترةٍ وجيزةٍ رفعَ يدَه عالياً وباركَ زواجَ آلان دال وعروسَه المسرورة.. ثم أمر روبين الناسَ بالخروج على مهلٍ وبدون اية ضجةٍ وإلَّا يكون السهمُ بانتظار أي شخصٍ يُحاولُ القيامَ بأيةِ حركةٍ مُريبة.

وبعد الزواج، ذهبَ العريسُ والعروسُ بصحبةِ روبين ورجالِه إلى غابةِ شِرْوودْ حيثُ كانتْ ماريان بانتظارهم وقد حضّرتْ لهم الطعامَ الشهيَ والخمر

اللذيذَ.

وشَرب الجميعُ نَخْبَ «ألانْ دالْ» وزوجتِه الصبيّة التي تشعرُ في هذه اللحظات بأنها أسعد مخلوقةٍ في الدنيا.

قال روبين «لآلان دال»:

ـ لم يَعُد بإمكانِك الرجوعَ إلى بيتِك وإلى أهلِك..

قال آلانْ دالْ:

ـ سأخدمك أيها السيد النبيل مدَى الحياة؛ ولقد ملكتني بصنيعِك الشريف.

وقالت العروس:

ـ أنا كذلك، سأظلُّ وفيّةً ومطيعةً لأوامرك أيها السيد، ما حييتُ.

قال روبين:

ـ على كل حال، سنحتاجُ إلى مساعدة كلِّ واحد. إن «ويليام لينبي» صديقٌ حميمٌ للشريف.. حتماً سيرَسلون يوماً ما، عدداً وفيراً من الرجالِ ليقضوا

عليَّ . . .

ضَحِكَ «ويلْ سكارلِتْ» قائلاً :

ـ أَجل سيرَسلون رجالَهم ليموتوا شرَّ ميتةٍ . . هل نَسيَ الشريفُ ما أَصابه في ساحة السوق يوم حاول شنقي أمام حَشْدٍ من الناس؟!

روبين هُودْ والأَبناءُ الثلاثة .

ذاتَ يومٍ ، كان روبين هُودْ يتَجوَّلُ في الغابة ، رأَى إمرأة ترتدي ثوباً جميلاً ، وهي تقتربُ منه . كانت تبدو كئيبة للغاية .

قالَ لها روبين هود :

ـ لماذا أَنتِ حزينةٌ أيتها المرأة؟ هل أَستطيعُ مساعدتَكِ؟

قالت له وقد اغرورقَتْ عيناها بالدموع :

ـ عندي ثلاثةُ أَولاد . تُوفِيَ والدُهم ، ولا يَبقى لي من حطام الدُنيا سوى هؤلاء الثلاثة . ولكن ويا للأَسف ـ اعتقلهم شريف نُوتِينْغهام وأَخذَهم بعيداً عن عينيَّ . . سَيَحكم عليهم بالموت .

واخذَتْ تبكي بمرارة. سألها روبين:

.. وما هو الذنبُ الذي اقترفوه كي يَستحِقّوا الموتَ.

ـ لقد اصطادوا أيِّلَ الملك.. في الغابة.

ثم حدَّثتْ نفسَها شاكيةً: «ما العمل حتى أمنع هذا الطاغي عن قتل أولادي الثلاثة؟ عندما يَظلم الإنسانُ، يبدو اكثرَ وحشيةً من الحيوانِ المفترس».

سمع روبين كلامَها، قال لها بنبرة لطيفة:

ـ لا داعي لكل هذا الحزن أيتها المرأة عودي الى بيتِك. إني ذاهبٌ بعد قليل، إلى نوتينغهام، وسأنقذ أولادَكِ من حَبْلِ المِشْنقة!

ولبَّت المرأةُ المسكينةُ أَمْرَ روبين هود، وعادتْ إلى بيتِها مُنتظرةً ساعةَ الفَرجِ، على يَدِ هذا الفارسِ المَجهول.

عندما ذهبَ روبين إلى نوتينغهام، التقى متسولاً عجوزاً، يَرتدي معطفاً قديماً جداً. والمعطفُ مليءٌ بالثقوب ومُرقَّعٌ في أغلبِ أجزائِه. وقِطَعُ الترقيعِ هذه، مختلفةُ الألوان، منها الأحمر والأخضر والأزرق والبني والأسود.

ولمّا رآهُ المتسوِّل، مدَّ يدَه قائلاً:

ـ أرجوكَ يا سيدي، أعطني بعضَ المال.

قال روبين:

ـ أجل، سأُعطيك مالاً إذا أعطيتَني معطفَك. سأُعطيكَ ذَهباً. وبفضل الذَهب، تَستطيعُ إبتياعَ الطعامِ والشرابِ.

ولم يتردد المتسوِّل أمام هذا الإغراء. فنزعَ على الفور معطفَه القديمَ البالي وهو لا يُصدِّق نفسَه. هل هو يحلم أم هذه حقيقة؟

ولم يُصدِّق المتسوِّلُ نفسَه إلَّا عندما وضعَ روبين قطعتين من الذَهب بين يديه.. جحظَتْ عيناه وارتجفَتْ يداه وكادَتْ أن تنقطعَ أنفاسُه من شدَّةِ

الدهشة. هل هذا معقولٌ؟ معطفُه الوسِخُ القديمُ الذي يُشبه الخرقةَ الباليةَ، يَشتريه منه سيِّدٌ مجهولٌ بسعرٍ محترم؟!

وتمّت الصفقة. أخذ الشحّاذُ مالَه وأخذ روبين المعطف البالي. ثم اتجه نحو نوتينغهام، متنكِرا بزي المتسوِّل المسكين.

وصلَ أخيراً إلى المدينة ورأى من بعيد، الشريفَ الظالمَ ورجالَه الى جانبه. وهم عشرون رجلاً. ورأى كذلك الأبناء الثلاثة. إنهم ينتظرون ساعةَ الإعدام بخوفٍ وقلَقٍ. وسأل روبين أحدَ الأشخاص:

ــ هل سيشنق الشريفُ هؤلاء الأشرار في هذا المكان؟

أجابَ الشخصُ الغريبُ:

ــ كلا. سيشنقُهم خارجَ المدينة.

ــ ولماذا؟

بدا الإزعاجُ واضِحاً على وجهِ الشخص الغريب، فقالَ لروبين:

البالي: القديم الممزق

ــ لستُ أدري. إذهبْ واسألْ الشريف.

وتوقَّع روبين مثلَ هذا التصرُّف الخشن.. لأنه يتنكّرُ في، زِي متسوِّل حقير. والمظهرُ يلعبُ دوراً أساسياً في الحياة. وهل يَحترمُ الناسُ الفقيرَ الممزَّقَ الثيابِ والمشرَّدَ الضعيف؟

دَنا روبين من الشريف ورفَع بصرَه وأراد أن يَسألَه. لكنَّ الشريف تضايقَ منهُ، فقالَ له على الفور:

ــ أُغرب عن وجهي أيها المُتسوِّل العجوز!

قال روبن هود بنبرةٍ ضَعيفةٍ:

ــ لا أطلب منكَ المالَ. لا أطلب شيئاً.

قالَ الشريفُ غاضباً:

ــ فماذا تُريد إذن؟

أُريد أن أقومَ بدور الشانِق. كم أرغبَ شنقَ هؤلاء الأشرار الثلاثة.

ابتسم الشريف وقال:

ــ حسناً . بإمكانك أن تكونَ الشانِق . اذا شِئْتَ . وبإمكانك أن تستولي على ثيابِهم وعلى مالِهم . . بعد شَنقِهم .

قالَ روبين :

ــ لا أطمعُ في مالِهم أو في ثيابِهم أُريدُ فقط أن أنفخَ على البوق . . قبلَ القيام بمهمتي هذه . هل تَسمح لي بذلك؟

ــ طَبْعاً . طَبْعاً . إنفخ ما شِئْتَ على البوق . ها ها ها!

وضحك الشَريفُ عالياً من عقليةِ هذا المُتسوِّل الغريب الأطوار . بينما أخذَ روبين البوقَ من تحت معطفِه . ونفخَ عليه بقوةٍ . وعلى الفور، إنطلَقتْ مئةُ سهمٍ من الغابة . وبفضلِ قُبعتِه الفولاذية، نجا الشريفُ من الموت؛ لكن اكثرَ من عشرة رجالٍ من أتباع الشريف، لاقوا حَتْفَهم في هذه المعركة الخاطفة وظهرَ رجالُ روبن هود من وراء التلالِ الخضراء وهم يَهتفون أثناءَ هجومهم مُغتبطين : «هُودْ! هُودْ!»

تَساءلَ الشريفُ مُستغرِباً كلَّ الإستغراب :

ــ مَن هُم هؤلاء الرجال؟ من أَينَ جاؤ ا؟

نظرَ إليه روبن بازدراءٍ وقالَ بصوتٍ عالٍ :

ــ إنهم رجالي ؛ جاؤ وا ليخلّصوني ويخلّصوا الإخوة الثلاثة .

ونزعَ المعطفَ عنه . وجحظت عينا الشريف كعيني الضفدعة

وأشارَ بأُصبعه المرتجف :

ــ يا إلهي! هذا روبن هود مُتنكِرٌ في زي متسوِّلٍ عجوز!

وكمن أصابَهُ مَسٌّ من الجنون، صرخَ غاضِباً :

ــ اقبضوا عليه حياً أم ميتاً! هيّا! ماذا تَنتظرون؟!

ولم يبقَ أحدٌ كي يُساعِدَ الشريف على محاربةِ روبن هود . . لقد فروّا خائفين كالأرانب تماماً . وعلى الفور، إمتطى الشريف حصانَه وابتعدَ عن الثوار الشجعان صائحاً :

— حسَناً . . خذوا الإخوة الثلاثة معكم. لن أفعل شيئاً هذه المرة. إنما سنلتقي عما قريب . . وسيكونُ الحسابُ عسيراً.

واكتفى بالقولِ وفرَّ هارباً تماماً مثل رجاله المنهزمين.

شاءَ الشريفُ أم أبى ، ذهبَ الإخوة الثلاثة مع روبن هود، مسْرورين . . وقد تنفَّسوا الصُعداء وانقشعت عن عيونِهم غيمةُ اليأسِ والقنوط. ذهبوا مع الجماعة المتمردة على الظلمِ والعبودية، وهم يَنشدونَ الأغاني الشعبية المفرحة التي تُمجِّدُ العيشَ في الطبيعة الساحرة والأمل بعودةِ الحاكمِ ريتشاردْ قلب الأسد، إلى ربوع الوطن، لينشرَ ألويةَ المحبةِ والعَدلِ والسلام بينَ جميعِ أبناءِ الشعب الواحد.

رجع الشريفُ الى دارِه مُحدثاً نفسَه: «ماذا بُوسعي أن أفعلَ مع هذا الخائنِ الوَغد؟ يَجبُ أن أَقبضَ عليهِ عاجلاً أم آجلاً».

قرّر الشريفُ إلقاءَ القبضِ على روبن هود بالمكر

انقشعت: زالت

والخداع. . إذْ لا يستطيعُ تنفيذَ فكرتِه الدنيئة علانيةً . . سيُحاسبه الشعبُ وسيكون مصيرُه الموتَ قتلاً . . لأن سمعةَ روبنِ الطيبة، عمَّت أرجاءَ البلاد، شرقاً وغرباً . . وأصبح كلُّ مواطن في انكلترا يتمنى الإنضمامَ إلى جماعةِ روبن . . هذه الجماعة التي تَحمي المظلومَ ضد الظالمِ وتأخذُ المالَ الفائضَ عند الأغنياء لتعطيهُ للفقراء المحرومين.

حدَّثَ روبن نفسه: «لا بُدَّ من التأكد من نوايا الشريف الخبيثة. إنه عدو جبان، لذلك يلجأُ الى الحيلة. يجب أن اكشفَ نواياه قبل أن يقومَ بأيِ عملٍ غادرٍ».

لذلك، اتجه روبن ذاتَ صباحٍ ، نحو نوتنغهام، علَّهُ يَلتقي أحداً فيخبره عن نوايا الشريف: طبعاً، خرجَ روبن من غابةِ شِرْوود مُتنكِراً . . كعادتِه. إلتقى في طريقِه، سمكرياً، يحملُ بضاعتَه على كتفِه ويمسكُ عصا غليظةً بيده اليُمنى. طويلُ القامةِ، لحيتُه قصيرة، قويُّ البنية ويَضعُ الغطاءَ على رأسه. دنا منه روبن وقال:

ـ صباحَ الخير. ما هي الأَخبارُ الجديدة في نوتينغهام؟ هل من نبأٍ جديدٍ يتناقله الناسُ هذه الأيام؟

قال السمكري:

ـ أجل، يوجد نبأٌ هام جداً.

ـ وما هو؟

ـ لقد فوَّضني الشريفُ لاعتقالِ روبن هود.

ومدّ يدَه قائلاً:

ـ أنظر! هذه هي ورقةُ التفويض. أخذَها روبن وقرأ مُندهِشاً: «أيُّ شخصٍ يَقبض على روبن هود ويأتي به إلى الشريف، سيكون جزاؤه مئةَ باوندسْ»

وعندما انتهى روبِنْ من قراءتِها، قال للسمكري المتعطش إلى رؤية روبِنْ وإلقاء القبضِ عليه:

ـ معكَ حق. المبلغُ كبيرٌ. ويَستحقُ كلَّ هذا التَعبِ. إذا شئتَ، قدّمتُ لكَ مساعدةً ملموسةً.

فرح السمكريُ لهذا الكلام، وقالَ له بحماسٍ:

ـ حَسناً. قُلْ لي أينَ يُمكنني العثورَ على روبن هود؟

ابتسم روبن وقال بنبرة لطيفة:

ـ تعال معي إلى نوتينغهام وستجدُه هناك. عندها، ذهبَ روبِنْ مع الصفَّاحِ الى نوتينغهام. قالَ روبن:

ـ ما هو اسمُك؟

ـ أرتورْ.

ـ حسناً، ما رأيُكَ لو ندخل إلى الحانة الآن ونشربُ نخبَ الصداقة؟

أَجابَ السمكريُ أرتور:

ـ لِم لا؟ إنها فكرةٌ رائعةٌ! إيهِ كم أُحب الخمرَ.

ضحِكَ روبن وقال:

ـ ولكن لا تنسى القولَ المأثور: مَن يشربُ الجعةَ أو المِزر، يَفْقُدْ حرية قدميه.

ضحكَ السمكريُ مُستغرِباً:

ـ ماذا تقولُ يا صاح؟ اذا شربتُ الجعةَ أفقد قدمي! ما هذه الخرافة؟

ـ خُرافة!؟ كلا! هذا هو قانون الطبيعة. قال السَمكري بسخرية:

ـ هيا نَدخل إلى الحانة.. لنرى كيف سأفقد قدمي بعد شرب نَخْبِ الصداقة!

وكان السَمْكري يشعرُ بالعَطَش الشديد، اذْ اجتازَ مسافةً طويلةً قبلَ الإلتقاء بروبن هود. لا عجبَ، إن شرب كثيراً وغابَ عن وعيه واسترسلَ في سُباتٍ عميقٍ. دنا روبن من جيبه وسحبَ ورقةَ التفويض وأخذَ كلَّ ما يملكُ من مالٍ، ثم رحلَ بعيداً عن الحانة.

واخيراً استفاقَ أرتور من نومِه العميق، وحاولَ أن يقفَ على قدميه في بداية الأمر. لم يَستطِعْ. جلس على المقعد الخشبي كالخِرقَة البالية، فتَّش جيوبَه، أُصيبَ بصدمةٍ عنيفة، استبدَّ به الغَضبُ وصاحَ مُهدِّداً:

«يا لهذا الصديق الخائن! لقد سرقَ مالي وورقة التفويض أيضاً! يا لَلْمُصيبة!»

سألَ الخاني:

ـ هل تعرفُ هذا الرجلَ الذي دخلَ معيَ منذُ ساعةٍ إلى الحانَةِ وشاركني في شرب الجعة ثم سرقني وهرب؟

قال الخاني:

ـ يا لَلعجب! إنك لا تَعرفْ الصديقَ الذي جئتَ معه إلى الخان؟

ـ كلا. من هو؟

ضَحِك الخاني ساخِراً وقال:

ـ ها ها ها!.. إنه روبن هود!

ـ ماذا؟! روبن هود! يا لَلْشيطان! لقد انسلَّ من بين أصابعي كالزئبق!

قال الخاني لا مُبالياً:

ـ انسلَّ أو لم ينسلَّ.. لا يَهمُّني. هيَّا أَعطِني الحساب: عشرة بِنْسات، ثمن الجعة التي شربتَها أنت وصديقُكَ المجهول.. حتى الثُمالة!

قالَ أرتور بنَبرةٍ يائسةٍ:

ـ لا أملكُ بنساً واحداً. أُنظر: إن جيوبي فارغة تماماً! لقد أخذ روبن هود كلَّ ما املك.

ـ ما العمل؟

ـ سأجعل روبن هود يدفعُ لكَ الحسابَ. أرجوك، قُلْ لي، أينَ يُمكنني العثورُ عليه؟.

قالَ الخاني والابتسامةُ الساخرة لا تُفارقُ شفتيه:

ـ ستَجدُه في غابَةِ شِروود. يقضي مُعظمَ أوقاتِه في هذه الغابة.

ـ وماذا يَفعلُ هناك؟

ـ يصطادُ أَيِّلَ الملك.

أَغمضَ عينيه قليلاً ثم قال وهو يَتخَيَّلُ روبن أسيراً بين يديه: «إيه! أينَ المفر؟ لن تستطيعَ هذه المرة الإفلاتَ مني أيها الصديق المخادع؟ ستكونُ لك مفاجأةً سارة.. أليسَ كذلك؟» تأمَّله الخاني وقالَ لنفسِه: «مسكين! لقد ذهبَ الخمرُ بعقله! هل يَعتقدُ

أمر اعتقالِ روبنْ هُودْ سهلاً إلى هذه الدَرجة؟!»

* * *

وذهبَ السمكريُ المخدوعُ إلى غابة شِروودْ بحثاً عن الصديق الذي سرقَ منه ورقةَ التَفويض والمالَ في آنٍ واحد.

ولم يَمضِ وقتٌ طويلٌ حتى عُثِرَ على الصَّيادِ المُرتاحِ البال، الذي صفر فرحاً ويَنشدُ الأُغنيةَ الشَعبيةَ.. كأنَّ شيئاً لم يكن.

عندما رآهُ السمكريُ صاحَ غاضباً:

ـ ها! أنت روبن هود! لقد خَدعتني إذن! أينَ المفرُّ الآن؟

ورفعَ عصاه الغليظة مهدداً، صائحاً:

ـ هيَّا.. تقدَّمْ للمبارزة.

ولم يتردَّد الصيَّادُ السعيدُ، بل لبَّى الطلبَ بطيبِ خاطرٍ. وبدأت المعركةُ حاميةً بين الإثنين. أُعجبَ روبن بمهارة ورشاقة السَمْكَري في استعمال العَصا.

كذلك. روبن ماهرٌ في استخدام هذا النوع من السلاح. وكانتْ عصاه تُصيبُ بعضَ الأحيان رأسَ خصمِه السمكري. صحيحٌ أن روبن أسرع منه ويتميَّزُ عنه بالرشاقة البدنية.. هذا لا يَمنعُ السمكريُ عن تصويب العَصا على أذن روبن.. وجعله يَتدحرجُ أرضاً رغمَ أنفِه. وارتمى السمكري بقامتِه الطويلةِ فوقَ روبن، ووضعَ يدَه الغليظةَ على خناقِه وصاحَ بنبرةِ الواثقِ من نفسه:

ــ هيَّا أعطِني مالي المسروقَ وورقةَ الشريف! وإلاَّ، شنقتُكَ على تلك الشجرة.

قال روبن هود بنبرةٍ لطيفة:

ــ أنتَ أبرع مني في القتال. دَعْني أنفخُ على بوقي مرةً واحدةً.. وبعد ذلك، ألبّي طلبَك في الحال.

إستغربَ السمكريُ هذا الطلبَ وقال:

ــ حَسناً. أنفُخْ على البوقِ ما شئت. إني لا أمنعُك.

وما كادَ ينفخُ روبن على البوقِ، حتى ظهرَ فجأةً ويل سكارلِتْ وجون الصغير.

أُصيبَ السمكري بالذهول وابتعدَ عنهم بضعَ خَطواتٍ، خائفاً مُرتبكاً. إبتسمَ روبن وقال لهما:

ــ تقاتلتُ بالعصا أنا والسمكري. لقد انتصر ويُريد الآن شَنْقي على تِلْكَ الشجرة!

قال جون الصغير:

ــ أودُّ أن أُلقنّه درساً لا يَنساه مدَى عمره. والتفتَ إلى السمكري المسكين وقالَ له بنبَرةٍ غاضبةٍ:

ــ هاً، امسك عصاكَ جيداً.. واستعِّد لاستقبال ملاكِ الرحمة ليحملَكَ إلى الجنّة.

عندها، تدخَّل روبن قائلاً مُعترِضاً:

ــ كلا. كلا. كفى قِتالاً! هذا السمكريُ إنسانٌ طيِّبٌ. كان قِتالُنا شريفاً. لستُ غاضِباً منه. يَسُّرني أن يكونَ أحدَ رجالي الأوفياء.

سأله جون الصغير:

ـ وما رأيك أنتَ أيُها السمكري؟

كان صاحبُنا يعتقدُ نَفْسَه طويلَ القامة، ولكنهُ عندما وجدَ نفسه أمامَ جون الصغير، شَعِرَ بعُقدة «قصر القامة». . . وهل يوجدُ شخصٌ أطول قامةً من «جون الصغير» في جَميعِ أرجاءِ إنكلترا؟! أجابَ السمكري:

ـ هذه الغابةُ ساحرةٌ حقاً. . وكم هو سعيد، الإنسان الذي يعيشُ بينَ أحضانها. . وأسعد منه، مَن ينضمُّ إلى رجال روبن هود الأعزاء. من الآن فصاعداً، سأخدمُ روبنْ هُودْ حتى آخر يوم من حياتي. . وداعاً للسَمْكَرية!

هكذا، بعد خِصامٍ طارىءٍ، تمَّ الوفاقُ بين الأصدقاء، وقرَّروا جميعاً متابعةَ النضال لأجل تحرير المظلومين الفُقراء من قيود الأمير جون والشريف وأنصاره الأشرار.

* * *

لحَّامٌ شَعْبيٌ

صادف روبنْ هودْ رجلًا وهو يجرُّ عربةً في الطريق التي تجتازُ غابةَ شِرْوودْ. سألهُ روبن:

ـ ماذا تَبيعُ. . في هذه الكارَّة؟

أجابَ الرجلُ:

ـ إني لحَّامٌ وذاهبٌ الآن إلى نُوتينْغهام لأبيعَ اللحمَ.

قال روبنْ:

ـ أُريد أن أشتريَ العربةَ والبضاعةَ أيضاً كم تُريد من المال؟

* * *

لم يَصعبْ على اللحَّامِ التعرُّفَ على روبن هود. ويعلم بأنه الفارسُ الشُجاع الذي يُدافعُ عن قضايا

المحرومين ويُساعِدُ الفُقراءَ في السِرِّ والعَلانية لذلك لبَّى الطلبَ مسروراً.. باعَه الكارَّة واللحمَ بدون أي تردُّد.

قالَ روبِن:

ـ أُريد أن أشتريَ ثيابَك أيضاً.. ما رأْيُك؟

إنـدهشَ صاحبُنـا لهذا الطلب الغريب. لَـزِمَ الصمتَ. تابعَ روبن قائِلاً:

ـ أحتاجُ إلى ثيابِك.. لأنكَ لحَّامٌ. وأَودُّ أن أتنكر في زِي لحّامٍ قبلَ الذهَابِ إلى نوتينغهام.

وتمَّت الصفقةُ وارتدى روبن ثيابَ اللحَّام ومضى إلى نوتينغهام. بدأ يبيعُ اللحمَ بأسعارٍ شعبية. فَرِحَ الشعبُ لهذا النبأ السار: فتهافتَ عددٌ وفيرٌ من الناسِ، واشتروا اللحم الجيِّدَ من عَربة روبن، بأَسعارٍ رَخيصةٍ جداً. وكم عائلةٍ فَقيرةٍ ذاقَت اللحمَ والمَرقَ اللذيذَ وهي

لم تتوقَّعْ مثلَ هذه النعمة. وهذا هو هدفُ روبِن: تأمينُ الطعام لأكبر عددٍ ممكنٍ من الناس.

وفي هذا اليوم بالذات، دعا «الشريفُ» جميعَ اللحَّامين إلى تَناول الطعامِ في منزله الفَسيح. وهذه الدَعوةُ تقليديةٌ.. إذْ تحدثُ مرةً واحدةً كل سنة. دنا من روبن، أَحدُ اللحامين وقالَ له:

ـ اليومَ نحنُ ضيوف، إلى مائدة الشريف.

قال روبِنْ:

ـ أجل. إني أعرِفُ ذلك.

وذهبَ روبن مع سائر اللحَّامين إلى دار الشريف لتناولِ طعامِ الغَذاء بالطَبع، لم يكتَشِف الشَريفُ أَمرَ روبن.. إذْ لَم يَخْطرُ ببالِه بأنه أَحدُ الضيوف، ويبيعُ اللَحمَ الجيِّد بأَسعارٍ رَمْزيةٍ. لذلك، عندما دخلَ إلى دارِه، قالَ له:

— هل أنتَ اللحَّامُ الذي يبيعُ اللحم الجيِّدَ بأسعارٍ رَخيصةٍ؟

أجابَ بنبرةٍ لطيفة:

— أجل. إني أبيعُ أجودَ اللحوم في إنكلترا. هزَّ الشريفُ رأسَه، علامةَ الإعجاب وقال:

— حَسناً! أودُّ شَراءَ الحيواناتِ التي تملكُها..

قال رَوبن مُبتسماً:

— آه! عندي ما يَفوق المئة. هلاَّ رافقتني ورأيتَ بأُم عينيك هذا القطيعَ الرائعَ؟

قال الشريفُ مسروراً غايةَ السرورِ؟

— لِم لا؟.. بعدَ تناولِ الطعام.

* * *

هكذا، عِندما انتهى الضيوفُ من تناولِ الطعام، وضعَ الشريفُ ثلاثمائة «باوندسْ» في كيسِ النقودِ وذهبَ مع روبن لمُشاهدة القطيعِ الذي حدَّثَهُ عنه. إصطحبَ معه ثلاثينَ رجلاً.

ذهبَ الجميعُ إلى الغابة الخضراء. وساروا مسافةً طويلةً، والقطيعُ لم يَظْهَرْ بَعد. عندها، قالَ الشريفُ مُرتبكاً:

— لا أُريدُ مشاهدةَ روبِنْ هودْ.

قال اللحَّامُ ساخراً:

— لماذا؟ هل أنتَ خائفٌ منه؟

— كلا. كلا. لكنني لستُ مُستعِداً الآن كي أَقبضَ عليه وعلى جميعِ رجالِه. سأُنفِّذ مهمةَ القَبضِ عليهم وقتِلهم واحداً واحداً في يومٍ آخر. اليوم، تَشتهي نفسي أَكْلَ اللحمِ الطيِّب. أَين هو القطيعُ الذي حدَّثتني عنه؟

صاحَ روبن:

— أُنظر! ذاكَ هو القطيع!

تنهَّد الشريفُ وقال:

— ماذا؟! هذه غزلانُ الملك..

ثم تأملَ اللحامَ جيِّداً وصاحَ وهو يرتجفُ من شدة الخوف:

ـ هذا روبن هود! اقبضوا عليه!

لكن روبن أسرع من السَهم، ابتعدَ عنهم جميعاً، ونفخَ على البوق، وبومضةِ عينٍ، ظهرَ رجالُه الأشداء ـ يُناهزون المئةَ رجل ـ وانتشروا بشكل دائرةٍ حول الشريفِ وأتباعِه. منهم من تسلق الاشجار ومنهم من سدد السهام منتظرين اشارة من روبن هود لِشَنِّ هجوم خاطفٍ على الشَريف وأتباعِه.. فتنهمر السهامُ كالأمطار الغزيرة من كلِّ حَدْبٍ وصَوْبٍ.. ولكن، رفعَ روبن يدَه وقالَ بصوتٍ عالٍ:

ـ جئتُ بالشريفِ إلى غابة شِروودْ لمشاركتِنا في تناوُلِ الطعام. سنحتفلُ اليومَ بضيافته.

ثم التفتَ إلى الشَريف وقال بنبرةٍ آمرة:

ـ هيّا. أعطِني كيسَ نقودكِ أيها الشريفُ العزيز.

أخذ روبن الكيسَ مسروراً، وقالَ مُبتسِماً:

يناهزون: يقاربون

ـ هذا هو ثَمنُ الطعام.. سَلفاً.. نقداً وعداً. عندنا طعامٌ شهيٌ حضَّرناه لكَ قبلَ مجيئِك السعيد. حضَّرنا لكَ الأيِّلَ السمينَ.. الذي يخصُّ حاكمَك الفاضلَ.. الأمير جون! ها ها ها!

وأكلَ الشريفُ اللحمَ الجيِّدَ الذي يُحبُّه حُباً شديداً.. إنما لم يشعر باللذةِ.. إذْ لبَّى الدعوةَ رغم أنفِه ودفعَ كلَّ ما يَملكُ داخِل كيس نقودِه بدونِ أي تذمُّر.. ورَجعَ إلى «نُوتينغهام» وهو يَلْعن حظَّه المنكودَ مُحدِّثاً نفسَه وشرارةُ الغَضبِ تتطايرُ من عينيه: «حَسناً. سَيأتي يومٌ وسأنتقم من روبن هود. لقد خَدعني هذه المرة.. إنما، لن ينالَ مرادَه في المرةِ القادمة. سأجعله يَقعُ في الحُفرة التي يَحفرُها لي.»

ولم يَنسَ صوتَ روبن وهو يقول له مُودِّعاً:

ـ عندما تَرجعُ في المرةِ القادمة الى غابةِ شِروودْ، سنكون بانتظارك لتناولِ الطعامِ الشَهيِ من لَحْمِ الأيِّل السمين.. ولكن لا تَنسى أن تجلبَ معك خمسمائة باوندسْ! ها ها ها!

حظه المنكوب: حظه السيئ

الفهرس


قصص للناشئة
روبن هود
مكتبة المعارف
بيروت